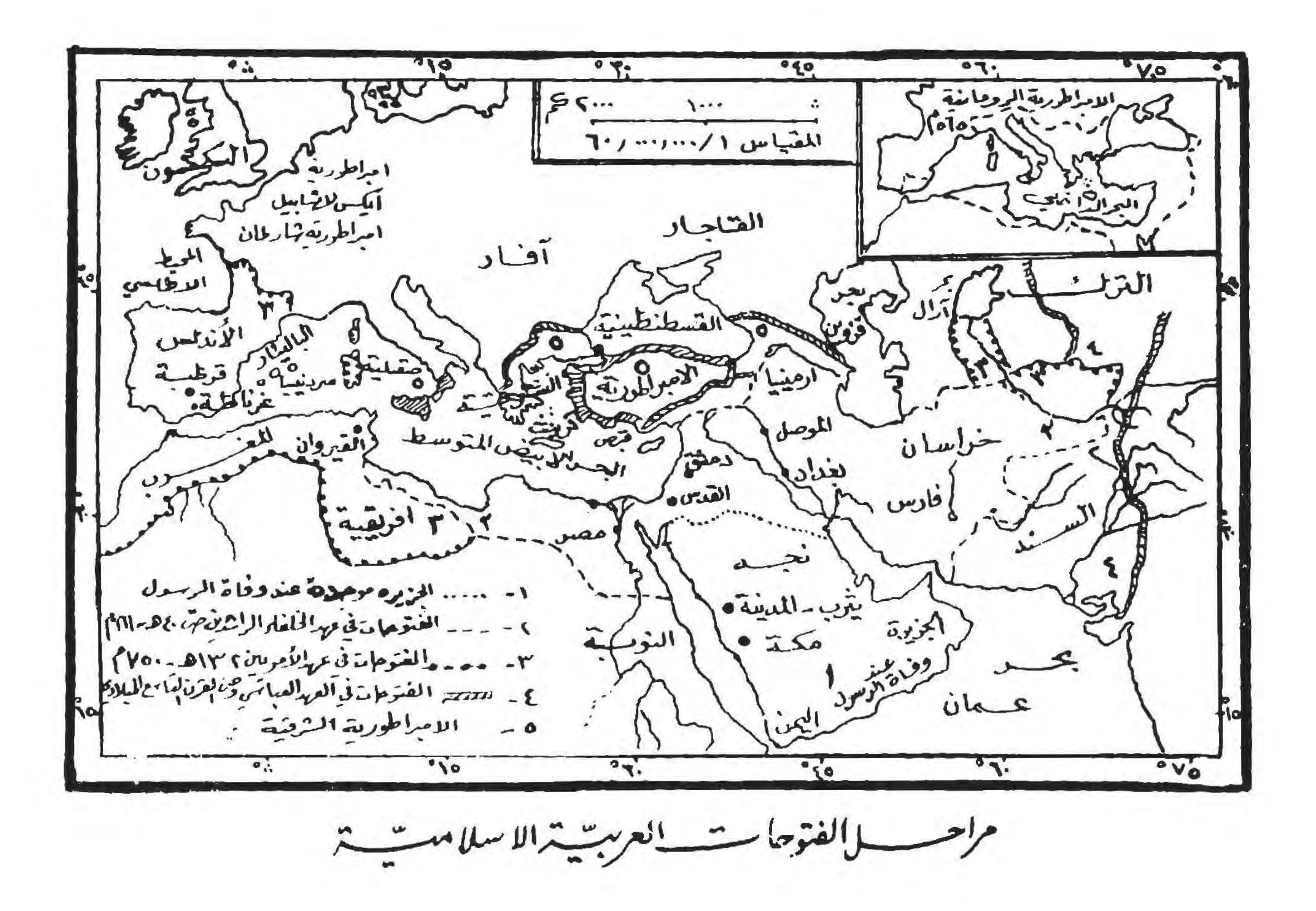
القسم الثالث

الفصل الأول

فتح الاندلس

١ ـ الموقع والطبيعة الجغرافية .
٢ ـ المعطيات البشرية .
٣ ـ المناخ .
٤ ـ الثروة الطبيعية .
٥ ـ الموقف عشية الفتح الاسلامي .
آ ـ التاج .
ب ـ السلك .
حـ ـ علاقة السكان باليهود .
د ـ علاقة حاكم سبتة بملوك الأندلس .
هـ ـ الاسطورة في خدمة قضية الفتح .



مراحل الفتوحات العربية الاسلامية

فتــح الاندلس

١ - الموقع ، والطبيعة الجغرافية

تقع شبه جزيره ايبيريا « الأندلس » إلى الشمال من أفريقية ويفصلها عنهـا دريب الزقاق « مضيق جبل طارق » كـما يفصلها عن أوربا سلسلة جبال البيرينة « البرانس » وتحتل الأندلس القسم الجنوبي الغربي من أوربا وتغمرها مياه المحيط من الشمال الغربي وحتى الجنوب الغربى بينما تغمرها مياه البحر الأبيض المتوسط من الشرق وحتى الجنوب الشرقي .

- تبلغ مساحة الأندلس ٥٩٣ر٢٩٠ كم٢ وهي تمتد بين خط طول ٣ شرق غرينيتش وحتى ٩ غربيه وبين ٣٦ و ٤٤ شمال خط الاستواء .

- ان متوسط ارتفاع سطح « الأندلس » يقارب ٧٠٠ م وتقطع هذا المسطح مجموعة من الجبال الغرانيتية أو الكلسية ومنها : جبال كنتبريان وايبريا وسيرا وايستريللا وموريننا ونيفادا . وتنحدر من سلاسل الجبال الينابيع التي تتجمع في أنهار يتجه بعضها غرباً حيث المحيط بينما يصب القسم الثاني في الشرق حيـث البحر الأبيض المتوسط ومن هذه الأنهار : مينهو - ودورو والتاج والغاديان وغادا الكيفير وجوكار .

٢ - المعطيات البشرية (١)

الايبريون : هم أقدم سكان شبه جزيرة « ايبريا » ، وهم السكان الأصليون

....

(١) المرجع : تاريخ فـن الحرب ، استروكوف وتاريخ جيوش العالم - المجلة العسكرية ١ و ٢ - ١٩٧٣ .

الذين أعطوا الجزيرة اسمهم خلال حقبة طويلة من الزمن . ثم جاء الفينيقيون واليونانيون فأسسوا لهم مستوطنات فوق المناطق الساحلية وجـاء القرطاجيون فطوروا علاقاتهم التجارية مع العالم وجعلوا من جنوب الأندلس قاعدة لهـم وذلك في القـرن الخامس . وعندما ظهرت دولة الرومان وبدأت فتوحاتها ، احتلت الأندلس وقضت على قرطاجنة ، ١٤٦ ق.م.

وفي عام ٥١ ق.م : قاد يوليوس قيصر جيوشه في غاليا « فرنسا » وصرع كراسوس .

وفي عام ٤٩ ق.م : قضى يوليوس قيصر على النظام الجمهوري .

وفي عام ٤٥ ق.م : أرسل قيصر قائده ديويوس إلى اسبانيا لتدمير آخـر البومبيين .

في القرن الثالث الميلادي أخذت بعض الشعوب الجرمانية تنحدر من سهول الشمال الشرقي لأوربا وعرفت هذه الشعوب بالقوط . وكان منهم قوط شرقيون ومنهم قوط غربيون عرفوا باسم « فيزيقوطيون » . وقـد أقام « الفيزيقوطيون في ايلليريا ، البانيا » وتحالفوا مع الرومان ثم جـاء الستيليكون فحاربوهم وهزموهم عام ٤٠٣ م فنزح هؤلاء نحو الجنوب واستقروا في اسبانيا . وفي عـام ٤١٠ م احتل الأريك « روما » واستقر « التهولف » في بروفانسيا وبرشلونـة وتولوز .

وفي عام ٤٣٩ م هزم فاليـا الشعوب « السويفية والآلانيين والفاندال الذين تنسب اليهم شبه جزيرة ايبيريا فيقال « فاندالوسيون ، أندلسيون ، أندلوسيا ،

(٢) الآلانين : ALAINS : شعوب برابرة ، اكتسحوا بلاد غاليا ـ فرنسا ـ ثم ابادهم الفيزيقوطيون في اسبانيا عام ٤٠٦ م .

الأندلس [١] ، وهي التسمية التي اعتمدها العرب المسلمون في كتاباتهم .

لقد كانت الاندلس ، بحكم موقعها نقطة اتصال هامة بين أفريقيا واوربا وكانت أرضها مهداً لامتزاج الشعوب واحتكاكهم عبر التاريخ .

٣ - المناخ

تتأثر الاندلس برياح الشمال الباردة ورياح الجنوب الدافئة لكن تأثير المحيط الاطلسي والبحر الابيض المتوسط يعمل على تعديل المؤثرات فيجعل مناخ الاندلس معتدلاً يختلف بصورة كبيرة عن الشمال البارد. ولعل هذا السبب هو الذي حمل سكان أوربا يعتبرون « الاندلس » قسماً من أفريقية أكثر منه قسماً متصلاً بأوربا. وقد أعجب العرب المسلمون بمناخ الاندلس فجاء وصفه على السنتهم وفي كتاباتهم التي نطالع فيها ما ذكره الرازي [٢] :

[... الاندلس ، موسطة من البلدان، كريمة البقعة بطيب الخلقة . طيبة التربة ، مخصبة القاعة ، منبجسة العيون الثرار [٣] . قليلة الهوام ، ذوات السموم، معتدلة الهواء اكثر الأزمان لا يزيد قيظها زيادة منكرة تضر بالأبدان ،

....

(١) الفاندال ، مثلهم مثل البورغونيون ، عرق جرماني ، هبطوا من الشمال الشرقي. وكانوا قبل عام ٢٥٨ م بين نهر الفيتول والاودر ثم انتقلوا الى سهل الدانوب . ووصلوا عام ٢٨٦م حتى مدينة « مايانس » وفي عام ٤٠٦ عاثوا فساداً في بلاد الثاليين واقاموا في الاندلس. طردهم الفيزيقوطيون فنزحوا الى الجنوب وعبروا الى افريقية عام ٤٢٨ م ووصلوا قرطاجنة عام ٤٢٩ وقاموا بثورة ونهبوا روما عام ٤٥٥ م ثم اجتاحوا مصر وخربوها . كما خربوا « ايطليريا - البانيا » واليونان ، ودمرت مملكتهم من قبل القائد البيزنطي BELIZAIRE بيليزير ، قائد الامبراطور جوستينيان عام ٥٣٤م . وفي عام ٥٥٤م استعادت الامبراطورية الشرقية «بيزنطة» سيطرتها على الفيزيقوطيين الذين حكموا الاندلس حتى عام ٧١١ م حيث انتصر طارق بن زياد في معركة لكه XERES وبدأت سيطرة العرب المسلمين على الاندلس التي استمرت حتى عام ١٤٩٢ حيث استطاع فرديناند وايزابيللا الاستيلاء على غرناطة .

(٢) نفح الطيب ١/٢٧٨ .

(٣) الثرار : جمع ثرة : غزيرة المياه .

وكذا سائر فصولها في أعم سنيها تأتي على قدر من الاعتدال وتوسط في الحال، وفواكهها تتصل طول الزمان فلا تكاد تعدم لان الساحل ونواحيه يبادر بباكورة كما أن الثغر وجهاته والجبال التي يخصها برد الهواء وكثافة الجـــو تستأخر بما فيها من ذلك حتى يكاد طرفا فاكهتها يلتقيان فمادة الخيرات فيها متصلة كل أوان ...]

ويكمل أبو عامر السلمي الصورة فيقول :

[... الاندلس من الاقليم الشامى هو خير الأقاليم وأعدلها هواء وترابا وأعذبها ماء واطيبها هواء وحيواناً ونباتاً وهو أوسط الأقاليم وخير الأمور أوسطها ...] (١)

ويقول أبو عبيد البكري:

[الأندلس ، شامية في طيبها وهوائها ، يمانية في اعتدالها واستوائها ، هندية في عطرها وذكائها ، اهوازية في عظم جبايتها ، صينية في جواهر معادنها ، عدنية في منافع سواحلها ...] (٢)

٤ – الثروة الطبيعية :

– بلاد الاندلس غنية بثرواتها الطبيعية نتيجة لموقعها ولطبيعتها الجيولوجية ولقد وصف كتاب العرب المسلمين وشعراؤهم ومؤرخيهم وضـــع الاندلس حيث نطالع :

[... وحجر المغناطيس يوجد في كورة تدمير ، وحجر الشادنة بجبال قرطبة كثير ويوجد حجر اللؤلؤ بمدينة برشلونة ، ويوجد المرجان بساحل بيرة ، ومعدن الذهب بنهر لاردة ويجمع أيضاً في ساحل « لأشبونة » لشبونة ومعدن الفضة في الاندلس كثيرة في كورة تدمير وجبال جمة ببجانة ، وباقليم

(١) و (٢) نفح الطيب ١/٢٥٥ .

كرتش من عمل قرطبة معدن فضة جليل وبأشكونية معدن القصدير ومعدن الزنبق في جبال البرانس « البيرنة » وبجبال قرطبة توتياء ، ومعادن الشبوب والحديد والاندلس اكثر من أن تحصى [1]

وقد أفاد العرب المسلمون من ثروات « الاندلس » المعدنية لصناعة الاسلحة وصك النقود ، وتطوير الاسلحة فنطالع :

[... وأما آلات الحروب من القراس والرماح والسروج والألجم والدروع والمغامز فأكثرهم أهل الاندلس، والسيوف البرذليات مشهورة بالجودة، وبرذيل « بوردو : BORDEAUX » آخـر بلاد الاندلس من جهة الشمال والمشرق ، والفولاذ الذي في اشبيلية اليه النهاية] [2] .

وعن الثروة النباتية كتب العرب المسلمون :

[... وأما الثمار وأصناف الفواكه فالاندلس أسعد بلاد الله بكثرتها، ويوجد في سواحلها قصب السكر والموز ويوجدان في الاقاليم الباردة ، ولا يعدم منهـا الا التمر ولها من أنواع الفواكه ما يعدم في غيرها أو يقل كالتين القوطي والتين السفري باشبيلية والتين المالقي والزبيب المنكبي والزبيب العسلي والرمان السفري والخوخ والجوز واللوز ..] [3]

ومن خواص طلطيلة ان حنطتها لا تسوس ولا تتغير على طول السنين ، والعنبر كثير ببحر الاندلس] [4] .

ـ كما كانت الثروة الحيوانية متوفرة بالاندلس بسبب غنى الطبيعة ووفرة الثروة النباتية ، وكثرة السهول والمراعي .

٥ ـ الموقف عشية الفتح الاسلامي :

استخدم الكتاب الاندلسيين ومؤرخوهم في تسجيل الاحداث تسلسلاً محدداً

....

(١) نفح الطيب ٢٨٣/١ . (٢) نفح الطيب ٧٠/٢ .

(٣) نفح الطيب ٦٦/٢ . (٤) نفح الطيب ٢٨٣/١ .

ومصطلحات معينة . ولايضاح ذلك نذكر هنا مـا جاء في [المغرب في حلى المغرب] [1] حول هذا الموضوع :

[... حضرة قرطبة احدى عرائس مملكتهاوفي اصطلاح الكتاب للعروس الكاملة اللدنية ١ - منصة : وهي مختصة بما يتعلق بذكر المدينة في نفسها .

٢ - تـاج : وهو مختص بالايالة السلطانية .

٣ - سلك : وهو مختص باصحاب دور الكلام من النثـــار والنظام .

٣ - حلـة : وهي مختصة باعلام العلماء والمصنفين الذين ليس لهم نظم ولا نثر ولا يجب اهمال تراجمهم .

٥ -أهداب: وهي مختصة باصحاب فنون الهزل وما ينحو منحاه.

وهكذا ، فان التسلـسل هـو : المنصة ، التاج ، السلك ، الحلة ، الاهداب . واحياء لهذه التسميات لا أكثر بسبب ارتباطها بتاريخ عزيز على النفس نأخذهنا بها . وقد سبق معالجة المنصة تحت عنوان الطبيعة الجغرافية ، الموقع ، المعطيات البشرية ، المناخ والثروة الطبيعية وتتابع الفصل وفق التسلسل اعلاه .

آ ـ التاج

كانت الاندلس تحت حكم القوط ، وكان من ملوكهم في الفترة الاخيرة الملك فمبا VAMPA ٦٧٢-٦٨٠ م ثم تلاه إرفنج IRVING الذي تميز عهده بسن تشريع خاص لاضطهاد اليهود ، ثم جاء الملك اخيكا EGICA وفي عهـده دبر يهود اسبانيامؤامرة سنة ٦٩٤ م افتضحت وانتهت بالفشل وعندها بدأت أزمة انتهت بحرب اهلية نتيجـــة لاقدام اخيكا على تعيين ابنه من بعده واسمه WITIZA ، عرفه العرب المسلمون باسم غيطشة . وذلك دون الرجوع إلى قانون الانتخابات . وتوفي اخيكا . وتسلم ابنـه غيطشة السلطة وخرق قانون

....

(١) المغرب في حلى المغرب . ٣٧/١ ونفح الطيب ٢٩٨/١ .

الانتخابات ولم يرجع الى النبلاء لأخذموافقتهم متبعاً في ذلك سنة أبيه. وظهرت معارضة قوية ضده تزعمها رودريك[1]. وأخيراً، عمل غيطشة على تخفيف قانون العقوبات ضد اليهود مما حمل رجال الكنيسة على تأييد حركة المقاومة ودعمها فاضطر غيطشة الى تعيين ابنه اخيلا AQUILA ورزحت البلاد تحت وطأة الاضطراب والفوضى وامتنع عدد من النبلاء عن تأييد ملك « صغير في عمره » وأفاد رودريك من هذا الوضع فاستولى على السلطة بتأييد من الكنيسة وعدد من النبلاء وعند ذلك اخذ انصار الملك الشرعي بالاستقلال في اقاليمهم ولا سيما منها الاقاليم الشمالية مثل «جيليقية واشتوريش» حيث ناصبت رودريك العداء فوجه هذا جيشاً عام ٧٠٩ م نجح في تحطيم المقاومة، فهرب قادة المقاومة الى سبتة، وانضم بعضهم إلى جيش رودريك، انتظاراً لفرصة اكثر ملاءمة.

– لقد اغتصب رودريك السلطة اغتصاباً، ونهضت في وجهه حركات المقاومة فاضطر لاستخدام القوة والعنف حتى يسيطر على المملكة، فانتهى ذلك الى خلق هوة كبيرة بين جهاز الحكم وبين جماهير الشعب.

ب – السلك « ونعني به هنا السلك الكهنوتي » :

بعد نجاح القوط في طرد الفاندال واستقرار القوط في الاندلس واقامتهم دولة قوية، اخذ الضعف والتخاذل يتسرب اليهم فقسم الاشراف ورجال الدين البلاد الى اقطاعات كبيرة وسكنوا القصور الفخمة وانصرفوا الى اللهو وماتت فيهم حمية آبائهم الشجعان، وتركوا الصناعة والزراعة في ايدي الأرقاء الذين كانوا يعيشون في ذل وضعة كما اثقلوا كاهل الطبقة الوسطى من الزراع والتجار بالضرائب.

(١) المسلمون في اسبانيا، دوزي ٢٣١، وترجم العرب اسم رودريك باشكال مختلفة فكان ادرينوق عند الطبري ٤/٥ ٢٤ ورذريق عند ابن الاثير، الكامل ٤ - ٢١٣ ولزريق عند ابن خلدون ٤ - ١١٧، ولذريق عند ابن الحكم (٢٣٩) وأدريق عند اليعقوبي ٣-٢٩.

وقد اتبع رجال الدين الذين كانوا يشيدون بالاخوة المسيحية بعد أن أثروا وملكوا الضياع الواسعة السياسة الموروثة وعاملوا عبيدهم وخولهم بالعسف كما كان يفعل أثرياء الرومان وأغنياء القوط من بعدهم [وقد كسب رجال الدين لطائفتهم نفوذاً راجحاً في شؤون الدولة وجلس الاساقفة وكبار رجال الدين في المجالس الوطنية التي كانت تجتمع لاقرار الشؤون الهامه في الدولة والمصادقة على انتخاب الملك وادعت لنفسها الحق في عزله اذا ابى الأذعان لقراراتهم . واتخذ القسس من وراء هذه القوة التي وصلوا اليها سبيلاً لاضطهاد اليهود الذين كانوا طائفة كبيرة العدد في أسبانيا . وصدرت الأوامر المشددة ضد كل من امتنع عن الدخول في المسيحية] [1] .

وكانت الطبقة الدنيا تشمل العبيد الذين انصرفوا إلى الزراعة . أما الطبقة الوسطى فقد كانت تلاقي من ضنك العيش شراً مما كان يلاقيه العبيد فكان يقع عليهم عبء الانفاق على الدولة ، فهم الذين يؤدون الضرائب ويجمعون الأموال للأغنياء مما جر إلى خراب هذه الطبقة وافلاسها [2] .

هذا إلى ما أصاب الأندلس من بؤس وشقاء فقد قيل ان الوباء تفشى في سني ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠ هـ حتى مات اكثر من نصف سكانها .

ج - علاقة الملك باليهود :

تعرض اليهود خلال تاريخهم الطويل لعدد من النكبات بسبب مواقفهم العدائية من الشعوب الاخرى مثل موقفهم في مصر وموقفهم من بابل وآشور وموقفهم من اليونان وموقفهم من فينيقيا ثم موقفهم من المسيحية وموقفهم من الرومان وكانت هذه المواقف العدائية تنتهي بهم دائماً للتشرد والاضطهاد والهجرة وقد تكون

---

(١) السير توماس ارنولد ، الدعوة الى الاسلام، ١٥٤ - ١٥٥ . من تاريخ الاسلام الدكتور حسن ابراهيم حسن ١ - ٣٠٩ .

(٢) ليبنول ، العرب في اسبانيا ، ترجمة علي الجارم ٥ - ٦ - ٨ .

ثورة باركوكبا عام ١٣٥ م. هي آخر ثوراتهم في فلسطين حيث شردهم الرومان بعد ذلك ولم يبق لهم وجود في فلسطين أو كيان فوق أراضيها . وقد أرغمت أعمال الاضطهاد اليهود على الهجرة إلى كل مكان في العالم فكان منهم اعداد كبيرة في الاسكندرية وفي الاندلس .

وقد جعل اليهود من الاندلس مقراً لتآمرهم ، مما حمل المسيحية على اضطهادهم ونطالع فيما كتبه دوزي ، المستشرق الهولاندي في الجزء الثاني من تاريخه للدولة الاسلامية في اسبانيا صورة عن العلاقة اليهودية ـ الاسبانية في عهدالقوط.

[.. كان رجال الدين الكاثوليكي يرهقون اليهود عسفاً ويبالغون في ايذائهم] . وقال المؤرخ الفرنسي المشهور ، ميشليه، [كان الناس في القرون الوسطى كلما سالوا : لماذا ينقلب هذا العالم جحيماً بينما يجب أن يكون المثل الأعلى في الفراديس تحت ظل الكنيسة ؟ فتجيبهم الكنيسة:«لأن هذا من غضب الله الذي يرى أن قتلة ربنا لا يزالوا وافرين ؟ » فبدأ اضطهاد الكنيسة لليهود عام٦١٦ م ايام الملك Sisebut . وتقرر اعطاء اليهود مهلة سنة ليتنصروا فان لم يتنصروا خلال تلك السنة نفوا الى خارج الاندلس وضبطت املاكهم وجلد كل منهم مائة جلدة فتنصر منهمتسعون ألفاً من مجرد الرعب ولكن المتنصرين كما لا يخفى لبثوا يختنون أولادهم سراً ويدينون بدين موسى فقرر مجمع الاساقفة الرابع المنعقد في طليطلة تركهم أخيراً وشأنهم بشرط أن يسلموا أطفالهم لاجل تنشئتهم في النصرانية ، وفي المجمع السادس في طليطلة قرر الاساقفة ان لا يؤذن بمبايعة ملك الاندلس إلا على شرط انفاذ قرارات المجامع الاسقفية بحق اليهود، وبرغم هذا كله بقي في تلك البلاد يهود كثيرون،واستمر المسيحيون في تعذيبهم نحواً من ثمانين سنة إلى أن فرغت جعبة اصطبارهم فأجمعوا الثورة بمظاهرة يهود البربر في أفريقية ، ووعدهم هؤلاء بالاجازة الى الاندلس لاجل نجدتهم وكان ذلك في زمن الملك اخيكا EGICA الذي بلغههذا الخبر فجمع الاساقفة وبعد ان استوثقوا من صحة الخبرقرروا استعباد اليهود

باجمعهم وضبط جميع املاكهم ، ومن الغريب أنه قضى على بعض اليهود أن يكونوا عبيداً لمن كانوا عبيداً وتقرر ان يؤخذ أولادهم من بعد بلوغ سن السابعة وينشأوا في النصرانية . ولم يكن يؤذن بزواج اليهودي من اليهودية بل كان لا بد لليهودية من أن تتزوج بعبد مسيحي ولا بد لليهودي بعد انصار عبداً من أن يتزوج امة مسيحية . فلما جاء المسلمون وفتحوا اسبانية كان اليهود هناك في أشد العذاب فحررهم المسلمون من الرق وتركوا لهم الحرية التامة بأن يمارسوا شعائر دينهم،فتنشقوا نسيم الفرج فلذلك كانوا هم والارقاء، وجميع الضعفاء من اعظم انصار الاسلام ..] [1]

علاقة حاكم سبتة بملوك الاندلس :

كان « يليان : JULIAN » [2] حاكماً عاماً على « ولاية طنجة » احدى الولايات السبعة الخاضعة للدولة البيزنطية . وقد بدأ يليان حكمه لهذه الولاية في سن مبكرة وأقام فيها مدة طويلة . فعرف جيداً أرض المغرب وتوثقت علاقته بمن جاوره من قبائل البربر واستطاع أن يكتسب صداقة البربر له حتى أصبح يعد نفسه واحداً منهم وقد اختلط الأمر على الناس فظنوه بربرياً .

في عام ٦٣ هـ ــ ٦٨٢ م وصلت قوات العرب المسلمين حتى المغرب الأقصى بقيادة عقبة بن نافع . وأصبحت ولاية « موورطانية » مهددة بالزوال . وفي الوقت ذاته كانت سيطرة العرب المسلمين على البحر الأبيض المتوسط تتزايد إحكاماً وقوة ووجد يليان انه اصبح معزولاً عن « بيزنطة » لا يستطيع توفير الدعم اللازم للمقاومة فتوجه نحو الاندلس القوطية يطلب دعمها ومساعدتها .

ــ ووجدت الاندلس في سبتة قاعدة متقدمة توفر لها الأمن وتحمي لها

---

(١) تاريخ غزوات العرب ، شكيب ارسلان ، ــ ٣٢ ــ .

(٢) ورد اسمه في كتب مؤرخي العرب بتحريف فكان يليان ، في البيان المغرب ٢ ــ ٦ ويوليان في ابن الاثير ٤ ــ ٢١٣ وإليان في صفة المغرب ١٠٤ ــ .

حدودها الجنوبية فاستجابت للطلب واسرعت بتقديم العون (واخذت السفن تختلف اليهم بالميرة والامداد من الأندلس من قبل ملكها غيطشة ، فهم يذبون عن سبتة ذباً شديداً ويحمون بلادهم حماية تامة) مما ساعد على صمودها بوجه المسلمين الفاتحين [1] .

ـ في عام ٨٢ هـ ـ ٧٠١ م ، نجحت مؤامرة رودريك في انتزاع الملك واقصاء اخيلا غيطشة عن السلطة فالتجأ هذا الى حليفه يوليان ، وأقام في سبتة ،ولم يكن باستطاعة يوليان التمرد على رودريك نظراً لوضعه الخاص في افريقية واضطر على ابقاء صلة طيبة مع حاكم الاندلس الجديد حتى وقعت الحادثة التي غيرت الموقف ويذكر المقري هذه الحادثة على النحو التالي : [2]

[... كان من سير اكابر العجم بالاندلس وقوادهم ان يبعثوا اولادهم الذين يريدون منفعتهم والتنويه بهم الى بلاط الملك الاكبر بطليطلة ليصيروا في خدمته ويتأدبوا بأدبه وينالوا من كرامته حتى اذا بلغوا انكح بعضهم بعضاً استئلافاً لآبائهم وحمل صدُقاتهم وتولى تجهيز إناثهم الى ازواجهن فاتفق أن فعل ذلك يليان عامل للنريق على سبته وكانت يومئذ في يد صاحب الاندلس واهلها على النصرانية ، ركب الطريقة بابنة له بارعة الجمال تكرم عليه فلما صارت عند لنريق وقعت عينه عليها فأعجبته واحبها حباً شديداً ولم يملك نفسه حتى استكرهها وافتضحها فاحتالت حتى اعلمت اباها بذلك سراً بمكاتبة خفية فأحفظه شأنها جداً واشتدت حميته وقال ودين المسيح لازيلن سلطانه ولاحفرن تحت قدميه فكان امتعاضه من فاحشة ابنته هو السبب في فتح الاندلس ...]

ثم ان « يليان » ركب بحر الزقاق من سبته في اصعب الاوقات في يناير

....

(١) نفح الطيب ١ ـ ٢٣٤ وصفة جزيرة الاندلس ، بروفنسال .

(٢) نفح الطيب ١ ـ ٢٥٢ وفتوح مصر والمغرب ٢٧٧ فجر الاندلس ٥٩ ـ ٦٠ تاريخ ابن خلدون ٤ ـ ١١٧ .

Enero « كانون الثاني » قلب الشتاء فصار بالاندلس واقبل الى طليطلة نحو الملك لنريق فأنكر عليه مجيئه في مثل ذلك الوقت وسأله عما لديه ولم جاء في مثل وقته ؟ فذكر خيراً واعتل بذكر زوجته وشدة شوقها الى رؤية ابنتها التي عنده وتمنيها لقاءها قبل الموت والحاحها عليه في احضارها وانه احب اسعافها ورجا بلوغها امنيتها منه وسال الملك اخراجها اليه وتعجيل اطلاقه للمبادرة بها ففعل واجاز الجارية وتوثق منها بالكتمان عليه وافضل على ابيها فانقلب عنه وذكروا انملا ودعه.قال له لنريق [اذا قدمت علينا فاستفره لنا من الشذانقات - الصقور -التي لم تزل تطرفنا بها فأنها آثر جوارحنا لدينا] فقال له : [ايها الملك وحق المسيح لئن بقيت لادخلن عليك شذانقات ما دخل عليك مثلها قط ..] . عرض له بالذي اضمره من السعي في ادخال رجال العرب عليه وهو لا يفطن .

ان ما سبق ذكره قد حمل بعض المؤرخين الى اعتبار عمليات فتح الاندلس من العمليات السهلة بهدف الاقلال من أهمية الجهد الذي بذله العرب المسلمون في اعمالهم القتالية . ونطالع فيما كتبه كلود كاهن ، في تاريخ العرب والشعوب الاسلامية الفقرة التالية : [1]

[كانت اسبانيا تمتد خلف افريقية البربرية . وكان يكفي لبلوغها عبور مضيق ضيق . ولقد تداعى فيها حكم اسرة الفيزيقوط بسبب الخلافات الداخلية وعداء سكان السواحل التي كانت تحتلها بيزنطة وبسبب مناهضة اليهود المضطهدين فيها ولهذا كله رأى والي افريقية انه من الممكن غزوها ، ولقد تم تعيين والي من قبل مصر التي كانت تشرف على افريقيه من الناحية الادارية فبدأ موسى بارسال طارق بن زياد مولاه البربري ، الذي ابحر في المكان الذي سمي بجبل طارق منذ ذلك الحين . واستطاع ان يهزم بسهولة الملك لنريق

---

(١) كلود كاهن ، تاريخ العرب والشعوب الاسلامية ١ — ٤١ .

الذي سقط في ساحة المعركة . اما ما تبقى من القتال فكان اشبه بنزهة عسكرية اتاحت لطارق ان يطوف عبر اسبانيا كلها ..]

– والواقع ، ان هذه العوامل ،هي عوامل مساعدة لها وزنها ولكنها ليست العوامل كلها ، انها جزء فقط ، ولكن الجزء الاكثر اهمية هـو مجموعة العوامل الاخرى ومنها :

١ – مهارة القيادة و كفاءتها .

٢ – ايمان المقاتلين بالقضية التي يعملون لها ويقاتلون في سبيلها .

٣ – استخدام اسس « فن الحرب » بمهارة .

وهذا ماسنطالعه في اعمال الفتح.

هـ – الاسطورة في خدمة قضية الفتح :

وأخيراً سبقت عملية الفتح العربي لاسبانيا ورافقتها مجموعة من الأساطير . وقدتكون هذه القصص والاساطير تعبيراً عن الحالة النفسية التي عاشها المواطنون الاسبان خلال هذه الحقبة التاريخية ورغبتهم في التخلص مما هم فيه من أوضاع سيئـة وأملهم في أن يستطيع العرب المسلمون تحريرهم من واقعهم ومن بعض هذه القصص والاساطير :

١ – [**كان في طليطله دار ملك القوط بيت مغلق يحرسه قوم من ثقات القوط وكانت العادة انه اذا تولى من القوط ملك زاد على البيت قفلا فلما تولى لذريق عزم على فتح الباب و الاطلاع على ما بداخل هذا البيت فأعظم ذلك أكابرهم وتضرعوا اليه أن يكف عن ذلك فأبي وظن أنه بيت مال ففض الأقفال عنه ودخله فأصابه فارغاً لا شيء فيه الا المائدة التي كانت تعرف بمائدة سليمان وتابوت عليه قفل فأمر بفتح التابوت فألفاه فارغاً ليس فيه غير شقة مدرجه قد صورت فيها صور العرب على الخيول وعليهم العمائم متقلدي السيوف متنكبي القسي رافعي الرايات على الرماح وفي أعلاها كتابة بالعجمية فقرئت**

فاذا هي (اذا كسرت هذه الاقفال من هذا البيت وفتح التابوت فظهر ما فيه من هذه الصورة فان الأمة المصورة فيه تغلب على الاندلس وتملكها) [1] .

٢ - «لما ركب طارق بن زياد البحر ، رأى وهو نائم النبي ﷺ وحوله المهاجرون والانصار قد تقلدوا السيوف وتنكبوا القسي فيقول له رسول الله : (يا طارق تقدم لشأنك) ونظر اليه وإلى أصحابه قد دخلوا الاندلس قدامه . فهب من نومه مستبشراً ، وبشر أصحابه وثابت نفسه ببشراه ولم يشك في الظفر ، فخرج من الجبل واقتحم بسيط البلد شاناً للغارة وأصاب عجوزاً من أهل الجزيرة فقالت له في بعض قولها انه كان لها زوج عالم بالحدثان فكان يحدثهم عن أمير يدخل إلى بلدهم هذا فيغلب عليه ويصف من نعته أنه ضخم الهامة فأنت كذلك ومنها أن في كتفه الأيسر شامة عليها شعر فان كانت فيك فأنت هو فكشف ثوبه فاذا بالشامة في كتفة على ما ذكرت فاستبشر بذلك ومن معه » [2] .

ـ كان طارق يشعر بثقل الواجب الملقى على عاتقه ويستلهم الايمان من نفسه معيناً وقوة لمجابهة الصعاب المتوقعة .

—*—

....

(١) نفح الطيب للمقري ١ - ٢٣١ ، ٢٣٥ . البيان المغرب ٢ - ٤ تاريخ افتتاح الاندلس ٣٢ - ٣٣ .

(٢) نفح الطيب للمقري ٢ - ١٢٩ ، ١٣٠ .

القسم الثالث

الفصل الثاني

المرحلة الاولى من فتح الاندلس

١ ـ من العبور حتى معركة وادي لكة ، « التمهيد للفتح »
٢ ـ الغزوات الاستطلاعية .
٣ ـ الانزال في الاندلس .
٤ ـ معركة وادي لكة .
٥ ـ نتائج المعركة .
٦ ـ استثمار الظفر .

المرحلة الثانية من فتح الاندلس

١ ـ عمليات موسى بن نصير
٢ ـ فتح اشبيليا .
٣ ـ التوقف عند ماردة .
٤ ـ قمع حركة التمرد في اشبيليا .
٥ ـ معركة السواقي .

٦ ـ معاودة فتح طليطلة .

٧ ـ فتح سرقسطة وفتوح الشمال .

٨ ـ فتوح شمال غرب الاندلس « جيليقية » .

٩ ـ فتح عبد العزيز بن موسى في الاندلس .

قراءات

١ ـ موسى بن نصير اللخمي : ابو عبد الرحمن .

٢ ـ طارق بن زياد : الليثي .

٣ ـ مغيث الرومي بن الحارث بن الحويرث بن جبلة بن الايهم .

٤ ـ عبد العزيز بن موسى بن نصير .

٥ ـ نهاية موسى بن نصير .

٦ ـ مصير أولاد غيطشة بعد الفتح .

فتح الأندلس

جدول توقيت الاحداث

السنة الهجرية	السنة الميلادية	الاحداث
٨٦ هـ	٧٠٥ م	– تولي الوليد بن عبد الملك الخلافة ..
٨٦ هـ	٧٠٥ م	– تولي موسى بن نصير ولاية افريقية والمغرب .
٨٩ هـ	٧٠٧ م	– تحقيق الاستقرار في المغرب واحتلال جزيرتي ميورقة ومنورقة .
٩١ هـ	٧١٠ م	– غزوة استطلاعية للأندلس بقيادة طريف .
٩٢ هـ	٧١١ م	– عبور طارق بن زياد درب الزقاق « مضيق طارق » والانزال في الاندلس .
٩٣ هـ	٧١٢ م	– عبور موسى بن نصير المضيق والانزال في الأندلس .
٩٣ هـ	٧١٢ م	– غزو قتيبة بن مسلم الباهلي سمرقند ، شرقاً وفتحها ..
٢٨ رمضان ٩٢ هـ	١٩ تموز ٧١١ م	– معركة وادي لكة ونجاح طارق بن زياد بتمزيق جيش لذريق .
٩٤ هـ	٧١٣ م	– موقعة « تماعس » ونجاح مروان بن موسى ابن نصير بقتل لذريق .
٩٤ هـ	٧١٣ م	– فتح غرب الاندلس « البرتغال » بقيادة عبد العزيز بن موسى بن نصير .

السنة الهجرية	السنة الميلادية	الاحداث
٩٦ هـ	٧١٥ م	ـ وفاة الوليد وتولي سليمان بن الوليد الخلافة .
٩٦ هـ	٧١٥ م	ـ قتيبة بن مسلم يقوم بفتح كاشغر، وغزو الصين.
٩٨ هـ	٧١٧ م	ـ حصار القسطنطينية وغزو جرجان وطبرستان في الشرق ..
٩٩ هـ	٧١٧ م	ـ وفاة سليمان بن الوليد وولاية عمر بن عبد العزيز الخلافة ..
١٠٠-١٠٢	٧١٨ - ٧١٩ م	ـ تعيين السمح بن مالك الخولاني لولاية الاندلس وتجاوزه البرانس واحتلال وادي الدون، وتولوز، ومقتل السمح وتراجع المسلمين حتى ناربون .
١٠١ هـ	٧١٨ م	ـ وفاة عمر بن عبد العزيز وولاية يزيد الثاني الخلافة.
١٠٣-١٠٧	٧٢١ - ٧٢٥ م	ـ تعيين عنيسة بن سحيم الكلبي لولاية الاندلس واحتلال سبتمانيا وتقدم العرب المسلمين لحصار نيون، ثم مقتل عنيسة وتراجع المسلمين حتى ناربون .
١٠٥ هـ	٧٢٣ م	ـ وفاة يزيد الثاني وولاية هشام بن عبد الملك الخلافة ..
١٠٧ هـ	٧٢٥ م	ـ تعيين عبد الرحمن الغافقي لولاية الاندلس .
١١٤ هـ	٧٣٢ م	ـ موقعة «تور بواتييه»، ومقتل عبد الرحمن الغافقي .
١٣٢ هـ	٧٥٠ م	ـ سقوط الدولة الاموية وقيام الدولة العباسية في المشرق .
١٣٨ هـ	٧٥٥ م	ـ انتهاء عهد الولاة وقيام الدولة الاموية بالاندلس.

فتـــح الأندلس

١ - من العبور حتى معركة وادي لكة

[... ان الله ذوى لي الارض فرأيت مشارقها ومغاربها . ان ملك أمتي سيبلغ ما ذُوِيَ لي منها واعطيت الكنزين الأحمر والأبيض..][1]

حديث شريف

١ - التمهيد للفتح

عندما وصل عقبة بن نافع الى المغرب الاقصى عام ٦٢ هـ - ٦٨٢ م . ولقيه عند وصوله طنجة بطريق من الروم اسمه يليان ؛ هو حاكم سبتة ، فأهدى له هدية حسنة ونزل على حكمه وأراد عقبة فتح الاندلس فقال له يليان : أتترك كفار البربر خلفك وترمي بنفسك في بحبوحة الهلاك مع الفرنج ويقطع البحر بينك وبين المدد[2] .

- هـل كان يليان مخلصاً في نصحه أم أراد صرف عقبة عن الهدف الكبير تنفيذاً لمخططه في البقاء حاكماً للقاعدة المتقدمة في الدفاع عن الاندلس ؟..

مهما كان عليه الأمر فقد عاد عقبة من عملياته واستشهد في معركة تهوذة عند الزاب في عام ٦٣ هـ وتوقف مشروع فتح الاندلس .

....

(١) حديث رواه مسلم وأحمد والنسائي ، في سنن أبي داوود الجزء الرابع كتاب الفتن والملاحم ٤٢٥٢ وفي مسلم الفتن وأشراط الساعة . باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض ٢٨٨٩ ص ٢٢١٥ .

(٢) الكامل لابن الاثير ٣/٤٤ ، تاريخ المغرب الكبير ٢/٤٤ .

– وفي عام ٨٩ ، و ٩٠ هـ عاد المد العربي بقيادة موسى بن نصير فوصل المغرب الاقصى ولم يبق من قلاع المقاومة الحصينة سوى « سبتة » فوضع موسى حامية قوتها ١٩٠٠٠ر تسعة عشر الف مقاتل من البربر بقيادة طارق بن زياد ، وذلك بمهمة احكام الحصار على سبتة والتضييق عليها وارغامها على الاستسلام[١]. وكان طموح فتح الاندلس يراود مخيلة موسى ، لكنه أرجأ مشروعه الى حين وحتى سقوط سبتة .

– خلال هذه الفترة ، كان موسى يطور العمليات البحرية تنفيذاً لمشاريعه المقبلة فاهتم بعمران مدينة تونس وتوسيع دار الصناعة فيها وشق القناة التي تصل الميناء بالمدينة وأمر بصناعة مائة مركب .

– قام أسطول افريقية بمجموعة من عمليات الانزال البحري في صقلية وسردينيا وانتهى باحتلال ميورقة ومنورقة من جزر الباليئار سنة ٨٩هـ. وبذلك أصبحت الحدود الشرقية للأندلس في حالة الفتح مأمونة ، كما اكتسب العرب المسلمون ثقة بقدرتهم على تنفيذ عمليات الانزال الكبرى .

ـ عاد « يوليان » الى سبته وهو مصمم على الانتقام من « رودريك » ـ ومن المحتمل أن يكون الحافز الاقوى الذي دفعه هو ما شاهده من قوة العرب المسلمين وتصميمهم على تحقيق أهدافهم خلال حصارهم لمدينته فقرر كسب الوقت واغتنام الفرصة والعمل مع الجانب الرابح فقرر الانضمام الى العرب المسلمين . كما انه من المرجح ان يكون اتصال يوليان قد تم بعد هزيمه حزب اخيلا في شمال الاندلس والتجاء قادة المقاومة الى يوليان في سبتة وتحريضه على الانتصار بالعرب المسلمين بقيادة طارق بن زياد الذي وجهه الى موسى بن نصير .

اتصل يوليان بموسى بن نصير وعرض عليه مشروعه لفتح الاندلس ووصف له حسنها وفضلها وما جمعت من أسباب المنافع وأنواع المرافق وطيب المزارع

....

(١) نفح الطيب ٢٢٤/١ .

وكثرة الثمار وثرارة المياه وعذوبتها وهون عليه مع ذلك حال رجالها ووصفهم بضعف البأس وقلة الغناء [1] .

– لم يكن باستطاعة موسى بن نصير تنفيذ هذا المشروع قبل العودة الى أمير المؤمنين في دمشق ، فكتـب الى الوليد بن عبد الملك يطرح عليه الموقف ويخبره بتحول « يوليان » ووقوفه الى جانب العرب المسلمين ويستأذنه في عبور المضيق والانزال في الاندلس ، فكتب اليه الوليد :

[.. خضها بالسرايا حتى تختبر شانها ولا تغرر بالمسلمين في بحر شديد الاهوال ...] .

فراجعه انه ليس ببحر زخار وانما هو خليج منه يبين للناظر ما خلفه فكتب اليه :

[.. وان كان ، فلا بد من اختباره بالسرايا قبل اقتحامه ...] [2] .

– وبدأ موسى في العمل .

٢ – الغزوات الاستطلاعية :

١ – لم يكن باستطاعة موسى بن نصير وهو القائد الذي اكسبتـه التجارب خبرة طويله ان يقبل بسهولة ما عرضه عليه يوليان ، وأراد أن يضع ولاءه موضع التجربة فكلفه بالقيام باغارة استطلاعية والاتصال بحلفائه من أهل البلادويذكر المقرى هذه الاغارة فيقول :

[... اخذ «موسى» بالحزم فيما دعاه اليه يوليان، فعاقده على الانحراف الى المسلمين واستظهر عليه بأن سامه مكاشفة أهل ملته من الاندلس المشركين

....

(١) نفح الطيب ١/٢٥٤ ويذكر ابن الاثير ٤/٢١٣ . والبيان المغرب ٢/٦ ان هذا اللقاء قد تم على متن سفينة في البحر .

(٢) نفح الطيب ١/٢٥٤ وجاء في البيان المغرب ٢/٦ ان موسى استشار الوليد اما مراسلة واما نهض بنفسه اليه ... والاحتمال الاكثر هو ان عملية الاستشارة قد تمت بالمراسلة نظراً لمـا كان يضطلع به موسى من مسؤوليات جسام .

والاستخراج اليهم بالدخول اليها وشن الغارة فيها ففعل يوليان ذلك وجمع جمعاً من أهل عمله فدخل بهم في مركبين وحل بساحل الجزيرة الخضراء فأغار وقتل وسبى وغنم وأقام بها أياماً ثم رجع بمن معه سالمين وشاع الخبر عند المسلمين فانسوا بيوليان واطمأنوا اليه ...] [1] .

٢ - بعث موسى بعد ذلك رجلاً من مواليه من البرابرة اسمـــه طريف في اربعمائة رجل معهم مائة فرس ، سار بهم في اربعة مراكب فنزل بجزيرة تقابل جزيرة الاندلس المعروفة بالخضراء التي اصبحت فيما بعـد معبراً للسفن تضم داراً لصناعة المراكب . وحملت الجزيرة منـذ ذلك الحين اسم جزيرة « طريف » . وأقام بالجزيرة اياماً ثم مضى حتى اغار على الاندلس فأصاب سبياً لم ير موسى ولا اصحابه مثله حسناً ومالاً جسيماً وذلك في شهر رمضان من عام ٩١ هـ [2] .

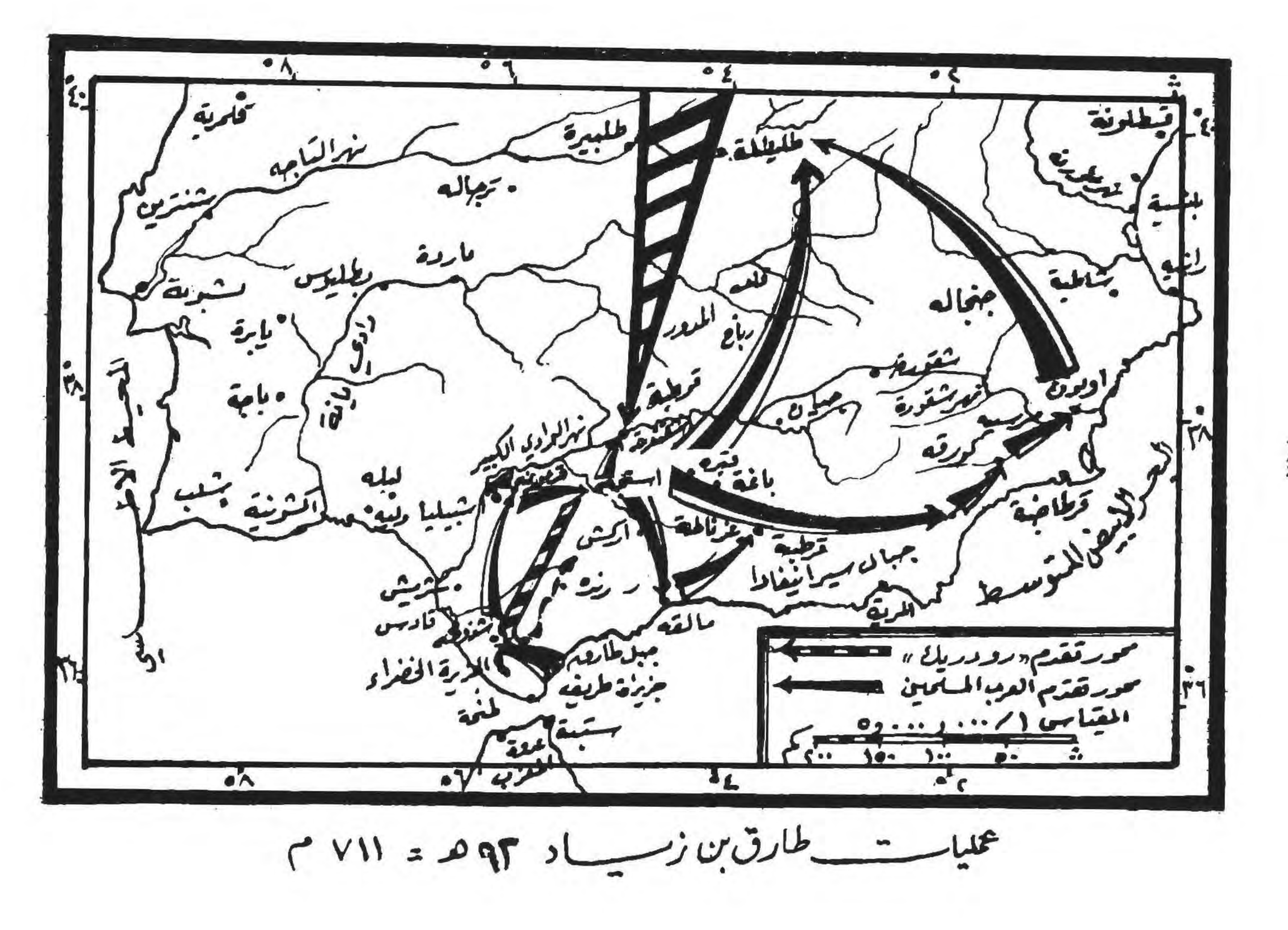
٣ - قام « أبو زرعة » وهو شيخ من البرابرة بعد ذلك بغزوة قوتها ألـف رجل ونزلت قوة الاغارة بالجزيرة الخضراء وكان أهلها قد تفرقوا عنها، فضرموا عامتها بالنار وحرقوا كنيسة بها كانت عندهم معظمة وأصابوا سبياً يسيراً وقتلوا وانصرفوا سالمين وهناك من يضع من المؤرخين الغزوتين فيجعلها غزوة واحـدة بسبب لقب طريف « بأبي زرعة » وبسبـــب قرب تاريخ تنفيذ الاغارتين الاستطلاعيتين بعضهما من بعض .

- توفرت المعلومات عن وضع الجزيرة ، واتخذ موسى قراره بتنفيذ العملية وأصدر اوامره إلى طارق بن زياد بالعبور في رجب ٩٢هـ ، نيسان - ابريل ٧١١م . والتوقف عند حدود قرطبة [3] .

---

(١) و (٢) نفح الطيب ١ / ٢٥٤ .

(٣) البيان المغرب ٣/١٨ - ١٩ .



عمليات طارق بن زياد ٩٢ هـ = ٧١١ م

٣ - الانزال في الاندلس .

- قاد طارق بن زياد جيشه المكون من سبعة آلاف مقاتل . وبدأت عملية العبور من سبتة تباعاً في سفن يليان ونزل بالبقعة الصخرية المقابلة التي عرفت منذ ذلك اليوم باسم جبل طارق . ثم توقف فيها حتى توافى جميع اصحابه عنده بالجبل. وانطلق طارق لدعم رأس الجسر وتوسيعه حتى اكمل فتح الجزيرة الخضراء [١] الى البحيرة .

- عندما حدث انزال قوات العرب المسلمين في جنوب الاندلس . كان رودريك يقود جيشه ويقاتل البشكنش في أرض بنبلونة[٢] وكانوا انصاراً لأخيلا.

- علم رودريك بأمر الانزال وعرف أن يليان يعمل مع قوات العرب المسلمين حليفاً لهم . (فعظم عليه الأمر وأقبل مبادراً الفتق في جموعه حتى وصل مدينة قرطبة من الموسطة « المتوسطة » ونزل القصر المدعو بها ببلاط « لذريق » وبقي فيها اياماً والحشود من اعماله تتوافى اليه) [٣] .

- كان اخيلا غيطشة قد هلك ، وكانت زوجته قد ضبطت لاولادها ملك والدم بطليطلة . فلما اقتحم طارق الاندلس استنفر رودريك اجناد اهل الاندلس . وكتب الى اولاد غيطشة يدعوهم الى الاجتماع معه على حرب العرب

....

(١) الجزيرة الخضراء ، مدينة أمام سبتة من بر الاندلس الجنوبي ، وهي من أرشق المدن وأطيبها وأرفقها بأهلها وأجمعها لخير البر والبحر وقرب المنافع من كل جهة ، توسطت مدن السواحل واشرفت بسورها على البحر ومرساها أحسن المراسي للجواز « العبور » وأرضها ارض زرع وضرع ونتاج . وعندما يخرج الانسان من بابها يجد المياه الجارية والبساتين النضرة ونهرها يعرف بوادي العسل ومن متنزهاتها النقا ، التفاصيل المغرب في حلى المغرب ١/٣٢٠ وتقويم البلدان ١٧٣ .

(٢) البشكنش قوم كانوا يسكنون في جبال البرانس « البيرينة » منطقة الباسك LE BASQUES مركزها حالياً PAU ، جنوب فرنسا « المؤلف » .

(٣) نفح الطيب ١/٢٥٠ .

ويحذرهم من القعود عنه ويحضهم على أن يكونوا على عدوهم يداً واحدة . وكان أولاد غيطشة قد ترعرعوا وركبوا الخيل واتخذوا الرجال فعندما وصلتهم دعوة «رودريك» لم يجدوا بداً من تلبيتها وحشدوا قوتهم وقدموا عليه بقرطبة ونزلوا اكناف قرية شقندة [١] بعدوة نهرها قبالة القصر ، ولم يطمئنوا الى الدخول على رودريك أخذاً بالحزم الى ان استتب جهاز « رودريك » وخرج فانضموا اليـه ومضوا معه وهم مرصدون لمكروهه [٢] .

علم طارق ان عسكر رودريك في نحو اربعين الف ذوي عدة وعدد، فكتب الى موسى يستمده ويعرفه انه فتح الجزيرة الخضراء وملك المجاز اليها واستولى على اعمالها الى البحيرة، وان رودريك زاحف اليه بما لا قبل له به ـ وكان موسى منذ وجه طارقاً لوجهه قد اخذ في عمل السفن حتى صار عنده منها عدة كثيرة فحمل الى طارق فيها خمسة آلاف من المسلمين مدداً كملت بهم عدة من معه اثني عشر الفاً ، حراصاً على اللقاء ومعهم يليان المستأمن اليهم في رجاله واهل عمله يدلهم على العورات ويتجسس لهم الاخبار .. واقبل نحوهم لذريق في جموع العجم وملوكها وفرسانها [٣] ..

٤ ـ معركة وادي لكة : XERES

التقى الطرفان يوم الاحد ٢٨ رمضان سنة ٩٢ هـ ـ ١٩ تموز ـ يوليو ٧١١م

(١) شقندة : كانت في قديم الزمان مدينة ، ثم خربت وصارت قرية وهي مطلة على قرطبة مجاورة لها ، المغرب في حلى المغرب ٢١٣/١ .

(٢) و (٣) نفح الطيب ٢٥٨/١ . وفيه ايضاً :

(... وقال اولاد غيطشة ، بعضهم لبعض ... ان هذا ابن الخبيثة قد غلب على سلطاننا وليس من أهله وانما كان من اتباعنا فلسنا نعدم من سيرته خبالاً في أمرنا وهؤلاء القوم الطارقون لا حاجة لهم في استيطان بلدنا ، وانما مرادهم ان يملأوا ايديهم من الغنائم ثم يخرجوا عنا فهلم فلننهزم بابن الخبيثة اذا نحن لقينا القوم لعلهم يكفوننا اياه فاذا انصرفوا عنا أقعدنا في ملكنـا من يستحقه فأجمعوا على ذلك ...) . وهناك بعض المصادر تذكر ان قوة القوط مائة الف ، وهو مبالـغ فيه .

وبدات المعركة على نحو ما كان اسلوب القتال متبعاً ، واخذ الجند يتقاذفون بالسهام . في الوقت الذي كان فيه كل طرف يستطلع خصمه لمعرفة نقاط ضعفه.

– حشد القادة قواتهم في – وادي لكه – قرب مدينة شذونه [1] حيث البحيره – واخذت الاشتباكات في تصاعد حتى تحولت الى قتال شديد .

– ارسل رودريك – علجاً – من اصحابه قد عرف نجدته ووثق ببأسه ليشرف على عسكر طارق – ويعرف مقدار قوته ونقاط ضعفه فأقبل ذلك العلج حتى اطلع على العسكر ثم شد في وجوه من استشرفه من المسلمين فوثبوا اليه فولى منصرفاً راكضاً، وفاتهم بسبق فرسه فقال العلج للذريق : [اتتك الصور التي كشف لك عنها التابوت – في دار الحكمة – فخذ على نفسك فقد جاءك منهم من لا يريد الا الموت او اصابة ما تحت قدميك – قد حرقوا مراكبهم اياساً لأنفسهم من التعلق بها وصفوا في السهل موطنين انفسهم على الثبات اذ ليس لهم في ارضنا مهرب .. فرعب وتضاعف جزعه ..

– في هذا الوقت ارسل اولاد غيطشة الى طارق يعلمونه ان رودريك كان تابعاً وخادماً لأبيهم فغلبهم على سلطانه بعد مهلكه وانهم غير تاركي حقهم لديه ويسألونه الأمان على ان يميلوا اليه عند اللقاء فيمن يتبعهم وان يسلم اليهم اذا ظفر ضياع والدهم بالأندلس كلها وكانت ثلاثة آلاف ضيعة ، نفائس مختاره وهي التي سميت بعد ذلك «صفايا الملوك» . فأجابهم الى ذلك وعاقدهم عليه ، وكان « رودريك » قد عين ولدي غيطشه . ارطباس والمند ، لقياده ميمنة جيشه وميسرته . وكان لهما تأثير قوي على اتباعهما ..

---

(٤) شذونة : هناك مدينة شذونة « وكورة شذونة » والمدينة ، من مدن الاندلس المليحة ظاهراً وباطناً ، في نهاية العمارة وكثرة الارزاق من متفرجاتها الجانة وفيها نهر لك وهو نهر مستحسن عليه بساتين ومناظر ملاح اما الكورة – الناحية او القصبة – فهي من كور اشبيلية واجلها محرثاً وشجرة ومياهاً وضياعاً وما شبه ، الى جانب المحيط ، المغرب في حلى المغرب ١/ ٣٠١ – ٣٠٢ ، معجم البلدان ٥/ ٢٤٤ .

ـ كان ميزان القوى في صالح رودريك ، فوقف في ساحة المعركة على سريره محمولاً على دابتين وعليه مظلة مكللة بالدر والياقوت والزبرجد تحف به البنور والأعلام وبين يديه جنده الكثيف من العبيد والمستضعفين الذين ينقصهم الإيمان .. واقبل طارق في بساطته يحف به اصحابه الذين عمر الإيمان قلوبهم وعليهم الزرد ومن فوق رؤوسهم العمائم وبأيديهم القسي الغربية وقد امتشقوا السيوف وتقلدوا الرماح ـ

ـ شعر جند طارق بالرهبة نتيجة لتفوق عدوهم ، فوقف طارق يستحث جنده ويستثير حماستهم فقال لهم : [1]

[. ايها الناس ! اين المفر ؟ البحر من ورائكم والعدو امامكم وليس لكم والله الا الصدق والصبر . واعلموا انكم في هذه الجزيرة اضيع من الأيتام في مأدبة اللئام وقد استقبلكم عدوكم بجيشه وأسلحته واقواته موفورة وانتم لا وزر لكم الا سيوفكم ولا اقوات لكم الا ما تستخلصونه من ايدى عدوكم . وان امتدت بكم الايام على افتقاركم ولم تنجزوا لكم امراً ، ذهب ريحكم وتعوضت القلوب من رعبها منكم الجرأة عليكم فادفعوا عن انفسكم خذلان هذه العاقبة بمناجزة هذا الطاغية ، فقد القت به اليكم مدينته الحصينة وان انتهاز الفرصة فيه لممكن ان سمحتم لأنفسكم بالموت. واني لم أحذركم امراً انا عنه بنجوة ولا حملتكم على خطة ارخص متاع فيها النفوس الا وانا ابدأ بنفسي واعلموا انكم ان صبرتم على الأشق قليلاً استمتعتم بالأرفه الألذ طويلاً. وقد بلغكم ما انشأت هذه الجزيرة من الحور الحسان من بنات اليونان الرافلات في الدر والمرجان والحلل المنسوجة بالعقيان ـ الذهب ـ المقصورات في قصور الملوك ذي التيجان وقد انتخبكم الوليد بن عبد الملك أمير المؤمنين من الابطال عرباناً ورضيكم لملوك هذه الجزيرة اصهاراً واختاناً ليكون حظه منكم ثواب الله على اعلاء كلمته

(١) نفح الطيب ١/٢٤١ .

واظهار دينه بهذه الجزيرة ، وليكون مغنماً خالصة لكم من دونه ومن دون المؤمنين سواكم والله تعالى وليّ انجادكم على ما يكون لكم ذخراً في الدارين واعلموا اني اول مجيب الى ما دعوتكم اليه ، واني عند ملتقى الجمعين حاملٌ بنفسي على طاغية القوم لذريق فقاتله ان شاء الله تعالى فاحملوا معي فان هلكت بعده فقد كفيتكم امره ولم يعوذكم بطلٌ عاقل تسندون اموركم اليه وان هلكت قبل وصولي اليه فاخلفوني في عزيمتي هذه واحملوا بأنفسكم عليه ، واكتفوا لهم من فتح هذه الجزيرة بقتله فانهم بعده يخذلون . . .] .

ـ نظم طارق جيشه بحيث استند الى بحيرة خاندا التي تمتد كيلومترات عديدة والتي يصب بها نهر برباط . كما استند بجناحه الآخر الى المرتفعات الجبلية « ريتين » وامضى وقته في التنظيم للمعركة وحشد قواته ومعالجة الروح المعنوية ، وبات المقاتلون ليلتهم في حرس الى الصبح حيث بدأت المعركة الحاسمة واقتتل الطرفان قتالاً شديداً حتى انهزمت ميمنة رودريك وميسرته ، وثبت القلب بعدها قليلاً ، وعذر رودريك اهله بشيء من قتال ثم انهزموا ورودريك امامهم وأذرع المسلمون القتل فيهم . ولم تغرب شمس يوم ٥ شوال سنة ٩٢ هـ ٢٧ تموز ـ يوليو ـ ٧١١ م حتى كانت طلائع قوات العرب المسلمين ومفارز فرسانهم الخفيفة تطارد فلول القوات القوطية المنهزمة . وانتهت المعركة بعد ثمانية أيام من القتال العنيد الذي صمم فيه كل طرف على انتزاع النصر ، وكان تصميم العرب المسلمين هو الأقوى .

٥ – نتائج المعركة

– احدث انتصار العرب المسلمين في وادي لكة هزة قوية في العالم القديم . وكان له اثر كبير على مسيرة العمليات ومن هذه النتائج :

١ – انفتاح شبه جزيرة ايبيريا امام العرب المسلمين بعد تحطيم قوة جيش القوط وانزال الخسائر الفادحة في تعداده حيث قتل منهم « خلق عظيم » اقامت

عظامهم بعد ذلك بدهر طويل ملبسة بتلك الأرض . (وان انتصار المسلمين في وادي لكة القى باسبانيا كلها في ايدي المسلمين ولم يكن طارق بحاجة الا الى قليل من الجهد ليقضي على المقاومة الضئيلة في بعض المدن ..) [١]

٢ – حصل العرب من الغنائم على اعداد كبرى من الخيول كانت كافية لحملهم جميعاً فلم يبق بينهم راجلاً مما يسر لهم مرونة الحركة وخفة الانتقال وساعدهم على التحرك بسرعة وخلال فترة قصيرة حتى وصلوا الى طليطلة ولم يكن تحقيق هذه المرونة والسرعة في التحركات بالمستطاع لو تم الاعتماد على العدد المحدود من الخيول التي نقلها المسلمون معهم عبر « بحر الزقاق » [٢] .

٣ – ارتفاع الروح المعنوية للمسلمين واكتساب مزيد من الثقة بالنجاح مقابل وضع مناقض عند القوط. وأسرع المقاتلون من أفريقية الى عبور البحر والالتحاق بقوات طارق (... تسامع الناس من أهل بر العدوة بالفتح على طارق بالاندلس، وسعة المغانم فيها ، فأقبلوا نحوه من كل وجه ، وخرقوا البحر على كل ما قدروا عليــه من مركب وقشر فلحقوا بطارق وارتفع أهل الاندلس عند ذلك الى الحصون والقلاع ، وتهاربوا من السهل ولحقوا بالجبال ...) [٣] .

٦ ـ استثمار الظفر

ـ أسرع طارق بالتحرك لمطاردة القوات المنسحبة وعدم تمكينهـا من تنظيم مقاومات جديدة، فوصل شذونة وكان أهلها قد اعتصموا بها وصمموا على الدفاع عنها فحاصرها طارق وشدد قبضته عليها ونجح في اقتحامها ، وسقطت شذونة

(١) العرب في اسبانيا ، لينبول ستانلي ، ترجمة علي الجارم بك ص ٢١ .
(٢) دراسات في تاريخ الاندلس ، احمد بدر ، ١٢ .
(٣) نفح الطيب ١/٢٠٩ وفيه (.. اختفى لذريق بعد المعركة ، الا ان المسلمين وجدوا فرسه الاشهب الذي فقد وهو راكبه وعليه سرج له من ذهب مكلل بالياقوت والزبرجد ووجدوا أحد خفيه وكان من ذهب مكلل بالدرر والياقوت وقد ساخ الفرس في طين وحمأة وغرق العلج فثبت احد خفيه في الطين فأخذ وخفي الآخر وغاب شخص العلج ولم يوجد حياً أو ميتاً).

في قبضة المسلمين وفتحوها عنوة. وتابع طارق تحركه حيث توفرت له المعلومات عن تجمع فلول « القوط » في « استجة » ، فمر في مسيرته من المدور [1] وعطف على قرمونة[2] فمر بعينه المنسوبة اليه ثم مال الى اشبيلية فصالحه أهلها على الجزية. ووصل استجة [3] وكان أهلها قد نظموا مقاومتهم وانضم اليهم الفارون من جيش رودريك. ووقعت بينهم وبين المسلمين معارك ضارية حتى كثر القتل والجراح بالمسلمين وأخيراً نجح طارق في انتزاع النصر وتمزيق المقاومة. فالتجأ أهل المدينة الى حصونهم ومعاقلهم . وعمل طارق على تضييق الحصار .

– كان حاكم المدينة وقائد المقاومة فيها مغتراً سيء التدبير ، فخرج الى النهر لبعض حاجته وحده فصادف طارقاً هناك قد أتى لمثل ذلك وطارق لا يعرفه ، فوثب عليه طارق في الماء فأخذه وجاء به الى العسكر ، فلما كاشفه اعترف له بأنه أمير المدينة فصالحه طارق على ما أحب وضرب عليه الجزية وخلى سبيله . فوفى بما عاهد عليه بعد مجموعة الانتصارات التي حققها طارق ، عقد مؤتمراً لمناقشة الموقف وحضر يليان المؤتمر ، وطرح رأيه فقال لطارق :

[... انك فضضت جيوش القوم ورعبوا ، فاصمد لبيضتهم ، وهؤلاء ادلاء من أصحابي مهرة ففرق جيوشك معهم في جهات البلاد واعمد انت الى طليطلة حيث معظمهم فاشغل القوم عن النظر في امرهم والاجتماع الى اولي رايهم ...] .

– وتكونت لدى طارق القناعة بصحة هذا الرأي، ولم يكن لديه من الوقت

---

(١) المدور AL MODOVAR حصن حصين مشهور بالأندلس بالقرب من قرطبة – ومودور ايضاً كورة متصلة بأحواز قرمونة ، معجم البلدان ٤١٧/٧ .

(٢) قرمونة CARMONA ، كورة مشهورة بكثرة الحرث وطيبه والحالي منها مدينة قرمونة وهي مدينة من جهة ضخامة الاسواق والحمامات ومعقل عظيم من جهة الارتفاع والمنعة لا ترام بقتال ، كانت من حصون الاسلام المشهورة ، المغرب في حلى المغرب ٢٩٩/١ .

(٣) استجة ، ECIJA ، كورة بالاندلس ، بينها وبين قرطبة عشرة فراسخ ، معجم البلدان ٢٢٤/١ .

ما يسمح له بالعودة الى موسى بن نصير لاستطلاع رأيه ، فقرر البدء بتنفيذ مخططه فشكل ثلاث مجموعات قتالية ووجهها الى اهداف مختلفة .

١ – وجه طارق بن زياد مجموعة قتالية من سبعمائة فارس يقودهم مغيث الرومي بمهمة فتح قرطبة .

قاد مغيث مجموعته حتى وصل الى « عدوة نهر شقندة » فكمن وجنده في غيضة أرز شامخة ، وأرسل الأدلاء ، حتى توفرت له المعلومات عن نقطة ضعف في سور المدينه ، وأفاد مغيث من ظلمة الليل وهطول الامطار فتسلل بقوته حتى وصل السور ، وتسلق المقاتلون واقتحموا الترصينات ، وفتحوا الأبواب فتدفق سيل المقاتلين ونجح المسلمون في تدمير المقاومة ، وفر ملك قرطبة ومعه اربعمائة مقاتل الى كنيسة بقرب المدينة . ووجه مغيث قوة لحصار الكنيسة و كتب الى طارق يعلمه بالفتح .

– استمر الحصار ثلاثة أشهر ، فعمل مغيث على تشديد الرقابة ، ووضع عناصر الاستطلاع ووقع احدهم اسيراً في قبضة ملك قرطبة . وتعرض للتعذيب فصمد وقاوم وعرف مورد المياه الذي تعيش القوة منه . وهرب عندما استطاع ذلك واعلم مغيث بما توفر لديه فعمل مغيث على قطع موارد المياه وعرض عليهم الاستسلام بدخول الاسلام او دفع الجزية لكن الملك رفض فعمل مغيث على اضرام النار فسميت منذ ذلك الحين بكنيسة الحرقى وحاول الملك الهروب فتبعه

---

(١) قرطبة CORDOBA ، كانت اعظم مدينة بالاندلس تقع على الوادي الكبير وليس في الاندلس واد يسمى باسم عربي غيره . وهي من أحسن البلاد مباني، وأوسعها مسالك وأبرعها ظاهراً وباطناً ، هواؤها معتدل . وبها القنطرة التي هي احدى غرائب الارض في الصنع والاحكام ، والجامع الذي ليس في بلاد الاندلس والاسلام اكبر منه . قال فيها أحدهم :

دع عنك حضرة بغداد وبهجتها ولا تعظم بلاد الفرس والصين

فما على الأرض قطر مثل قرطبة وما مشى فوقها مثل ابن حمدين .

نفح الطيب ١/٤٥٧ – ٤٦٠ آثار البلاد وأخبار العباد ٥٥٢ ـ المسالك والممالك ٣٥ .

مغيث وطارده حتى القى القبض عليـه وكان الملك الوحيد الذي أمكن أسره من بين ملوك الاندلس جميعاً .

٢ - ووجه طارق بمجموعة ثانية بمهمة فتح مالقة [١] فمضت هذه الى هدفهـا ونجحت في القضاء على المقاومة التي تمزقـت والتجأت الى الجبال . وتابعت القوة مسيرتها حيث انضمت الى المجموعة الثالثة المكلفة بفتح غرناطة [٢] .

٣ - وكان واجب المجموعة الثالثة التي وجهها طارق بن زياد التقدم نحـــو البيرة [٣] وغرناطة [٤] . ونجحت هذه المجموعة في حصار غرناطة واقتحامها عنوة

---

(١) مالقة «MALAGA»، احدى قواعد الاندلس وبلادها الحسان ، جامعة بين مرافق البر والبحر ، كثيرة الخيرات والفواكه كالتين والعنب والرمان واللوز قال فيها ابو الحجاج يوسف ابن الشيخ البلوي المالقي .

مالقة حييت يا تينهـــا ... الفلك من أجلك يأتينها
نهى طبيبي عنه في علتي ... ما لطبيبي عن حياتي نهى

نفح الطيب ١/١٥١ ، المسالك والمهالك ٣٥ معجم البلدان ٧/٣٦٧.

(٢) نفح الطيب ١/٢٦٣ .

(٣) البيرة ELVIRA ، بلدة قريبة من ساحل البحر في الأندلس . وكانت مملكـة جليلة بين مملكتي قرطبة والمرية ومملكتي جيان ومالقة وهي كثيرة الكتان والأشجار والانهار ، كما كانت قاعدة المملكة في القديم ولها ذكر شهير ومحل عظيم الا ان رسمها قد طمس ولم يبق منهـا الا بعض أثر وصارت غرناطة كرسياً . المغرب في حلى المغرب ٢/٩١ - ٩٣ . معجم البلدان ٢/٣٣٠ .

(٤) غرناطة GRANADA ، هي دمشق بلاد الاندلس ، لأن جند دمشق نزلوها وتسمى كورة البيرة التي منها غرناطة وقيل انها سميت دمشق لشبهها بها في غزارة المياه وكثرة الأشجار ، يخترقها نهر عليه قناطر يسمى نهر شنبل وفي قبليها جبل شلير « وهو مـــا يسمى سيرا نيفادا » وفيها قيل :

غرناطة مـــا لهـــا نظير ... ما مصر ، ما الشام ، ما العراق ؟
مـــا هي الا عروس تجلى ... وتلك من جملة الصداق ..

نفح الطيب ١ - ١٤٧ - ١٤٨ .

وأقاموا فيها حامية وضموا اليها اليهود للاستعانة بهم ثم تابعوا تقدمهم حتى رية [1] ومنهـــا تدمير [2] حيث كانت قصبتها أريولة [3] ، وهناك وقعت معركة ضارية ونجح المسلمون في انتزاع النصر وارغام حاكم تدمير على الانسحاب حتى وصل اريولة واعتصم بأسوارها ولجأ حاكم تدمير الى الخديعة فأمر النساء والأولاد بارتداء ثياب المقاتلين وحمل الاسلحة والتوقف عند الاسوار ، وعرض المسلمون الصلح فنزل حاكم تدمير متنكراً وفاوض المسلمين وبعد أن حصل على شروط الأمن وتم التوقيع على الاتفاق وعند ذلك عرفهم بنفسه ، واعتذر اليهم بالابقاء على قومه وأخذهم بالوفاء بعهده وأدخلهم المدينة فلم يجدوا فيهـــا سوى النساء والأطفال وحافظ العرب على الوفاء كما هي عادتهم ، وتركوا في المدينة حامية صغيرة وتابعت قوة المجموعة تحركها حيث التحقت بالقوة الرئيسية التي توجهت بقيادة طارق للاستيلاء على طليطلة. في الوقت الذي كانت فيه المجموعات القتالية تقضي على المقاومات في المعاقل والجبال والقلاع الحصينة كان طارق يقود الكتلة الرئيسية من قواته متوجهاً نحو الشمال عن طريق جيان [4] وكان وصول طارق

(١) رية ، وهي التي أصبحت تعرف باسم « بالقة » يمر منها نهر تسيل مياهه في أشهـــر الربيع فقط ، وبها قلعة حصينة . المغرب في حلى المغرب ١ - ٤٢٣ .

(٢) تدمير : من كور الاندلس الشرقية وتسمى مصر أيضاً لكثرة شبهها بها لان لها أرضاً يسيح عليها نهر في وقت مخصوص من السنة ثم ينضب عنها فتزرع كما تزرع أرض مصر وصارت القصبة بعد تدمير « مرسية » وتسمى البستان لكثرة جناتها المحيطة بها ، وفي كورة تدمير حجر المغناطيس الجاذب للحديد ومعادن الفضة كثيرة في كورة تدمير - نفح الطيب ١ - ١٦٤ .

(٣) أريولة « اوريولة » ORIHUELA في موضع كأنه اقتطع من جنة الخلود ، نهـر سائل ودواليب نعارة وطيور شادية وأشجار متعانقة ولها قلعة في نهاية من الامتنـــاع وكانت أريولة قاعدة الكورة قبل ان تنتقل هذه القاعدة الى مرسية . نفح الطيب ١ - ١٦٦ ، المغرب في حلى المغرب ٢ - ٢٨٦ .

(٤) جيان JAEN مملكة جليلة بوسطة الاندلس ، معروفة بالحارث والاخشاب ، وهي بين غرناطة وطليطلة ومرسية ، جمعت تناهي طيب الارض وكثرة الثمر وغزر السقيـــا واطراد العيون وكثرة الحرير . المغرب في حلى المغرب ٢ / ٤٩ - ٥١ .

الى حدود طليطلة [١] مباغتة كاملة لبقايا القوط الذين تركوا المدينة والتجأوا الى الجبال . ودب اليأس في قلوب قادة المقاومة وحكام المقاطعات وكبار رجال الكنيسة ذلك انهم لم يكونوا يتوقعون تحرك طارق بمثل هذه السرعة وكانوا يتوقعون ايضاً ان تكون عمليات طارق مشابهة لغزوات بليان وطريف وأبي زرعة ، وعندما تطورت الاحداث على غير ما كانوا يتوقعونه تخلوا عن المقاومة وأسلموا مدينتهم فدخلها طارق بقوات المسلمين وهي شبه خالية واستولى على ثروات ضخمة وكنوز تراكمت عبر عصور متتالية في القصور والكنائس ومضى طارق خلف من فر من أهل طليطلة بعد أن خلف في المدينة رجالاً من أصحابه وسلك وادي الحجارة [٢] فبلغ مدينة المائدة خلف الجبل ثم اقتحم ارض جيليقية حتى انتهى الى مدينة استرقة . وعاد طارق الى طليطلة لقضاء فصل الشتاء فيها والاستعداد لمتابعة العمليات وبعد ذلك تابع اعمال الفتح فدخل ولاية برغش [٣] وأحتل مدينة أماية [٤] *

(١) طليطلة TOLEDO احدى المدن الاربع التي بنيت في مدة قيصر اكتنيان ، يمر بها نهر تاجة تقع في موسطة الاندلس . قال ابن وكيل فيها :

زادت طليطلة على ما حدثوا بلد عليه نضارة ونعيم
الله زينه فوشح خصره نهر المجرة والقصور نجوم

المغرب في حلى المغرب ٢ / ٨ نفح الطيب ١ / ١٦١ ، معجم البلدان ٦ / ٥٦

(٢) وادي الحجارة GUADAL JARRA ، الى الشمال الشرقي من طليطلة غير أنه رافد يرفد نهر تاجه .

(٣) برغش BURGOS احدى مدن الحدود الشمالية . نفح الطيب ١ / ٣٦٤ .

(٤) أمايه AMAYA احدى مدن الحدود الشمالية ، يمر منها احد الفروع الرافدة لنهر دويرة .

(*) جاء في نفح الطيب ١ / ٢٦٠ (.. وكان من ارهاب طارق لنصارى الاندلس وحيله ان تقدم الى اصحابه في تفصيل لحوم القتلى بحضور أسراهم وطبخها في القدور يرونهم انهم يأكلونها فجعل من انطلق من الاسرى يحدثون من وراءهم بذلك فتمتلىء منه قلوبهم رعبا ويجفلون فراراً ..) وذكر ابن القوطية في كتابه فتح المسلمين للاندلس نصا بهذا المعنى

←

اخترق طارق الأندلس من اقصى الجنوب الى ما فوق الوسط اختراق السهم وبقيت جميع البلاد من الجانبين غير خاضعة له تتجمع فيها حاميات قوطية وهذا الأمر يجعل خط الفتح الاسلامي عرضة للانقطاع[1] . وقد دخل طارق الاندلس

بغير أمر مولاه موسى بن نصير وهناك رواية متناقضة حول هذه النقطة، اكثرها ينص على أن موسى كان يتلقى اخبار الفتح « بحسد والغيرة تعضه » وبعضها ينص على أن تجاوز طارق وادي لكة وتوغله قد أقلق موسى حول مصير المسلمين وعما يمكن أن يتعرضوا له من مخاطر . وان مسيرة الاحداث وتطورها يثبت صحة الروايات الثانية على قلتها ويدحض الروايات الاولى على كثرتها ومن المحتمل جداً أن تكون المحنة التي انتهى اليها موسى بعد فتوحاته وما رافق ذلك من مؤامرات خلفية في المشرق قد أسهمت في نشر تلك الشائعات واثباتها حتى أصبحت معروفة لدى العامة والخاصة فأقبل المؤرخون على تسجيلها والاخذ بالآراء الاولى التي تنص على أن حوافز موسى للفتح كانت بتأثير الحسد والغيرة لا أكثر وأن غضبته على طارق كانت بتأثير هذه العوامل وليست نتيجة لخوف موسى من احتمالات وقوع المحن بالمسلمين *

المرحلة الثانية من فتح الاندلس

١ - عمليات موسى بن نصير :

- كان موسى بن نصير يتابع بقلق توغل طارق في عمق الاندلس ، تاركاً

....

وقد رد المؤرخ رينو M. REINAUD على هذا القول في كتابه غزو العرب لفرنسا وسويسرا فقال : (ان ابن القوطية عاش في النصف الثاني من القرن العاشر الميلادي، وقيل له ابن القوطية لانه من ذراوي ملوك القوط باسبانيا ، فشهادته مطعون بها وضعيفة ، بحيث لا يمكن الاخذ بها . في تاريخ غزوات العرب - شكيب ارسلان ، ص ٣٢ ، مزيد من القول .

(١) البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب ، لابن عذارى المراكشي تحقيق ج . س . كولان وليفي بروفنسال ص ١٣/ اصدار بيروت .

بجنباته دون حماية ، فأخذ في تجهيز قوة أكبر واستخلف على ولاية افريقية ابنه عبد الله وتوجه بقوة وصل عدد أفرادها الى ثمانية عشر الف مقاتل فيهم رجال قريش وزعماء العرب ووجوه الناس . وبعد أن تم حشد القوات في طنجة بدأت عملية العبور ووصل موسى بجيشه الى الاندلس في رمضان سنة ثلاث وتسعين هجرية ٧١٢ م[1]. واحتل الجبل الذي كان قد شهد قبل ذلك انزال قوات طارق ثم تجاوزه فنزل الجبل الذي نسب اليه والذي عرف باسم جبل موسى وسيطر بقواته على الجزيرة الخضراء .

– عندما استقر موسى في الجزيرة الخضراء ، اسرع يليان للقائه ، وعقد معه مجلساً للتشاور ، ثم عقد مؤتمراً حضره قادة العرب[2] وجمع حوله الرايات وعددها يزيد على عشرين راية وتفاوض الجميع في الرأي وكان مما قاله موسى :

[... ما كنت لأسلك طريق طارق ، ولا اقفو أثره ، فقال له العلوج اصحاب يليان .. نحن نسلك بك طريقاً هو اشرف من طريقه وندلك على مدائن هي اعظم خطراً واعظم خطباً .. ومدائن لم تفتتح بعد .][3]

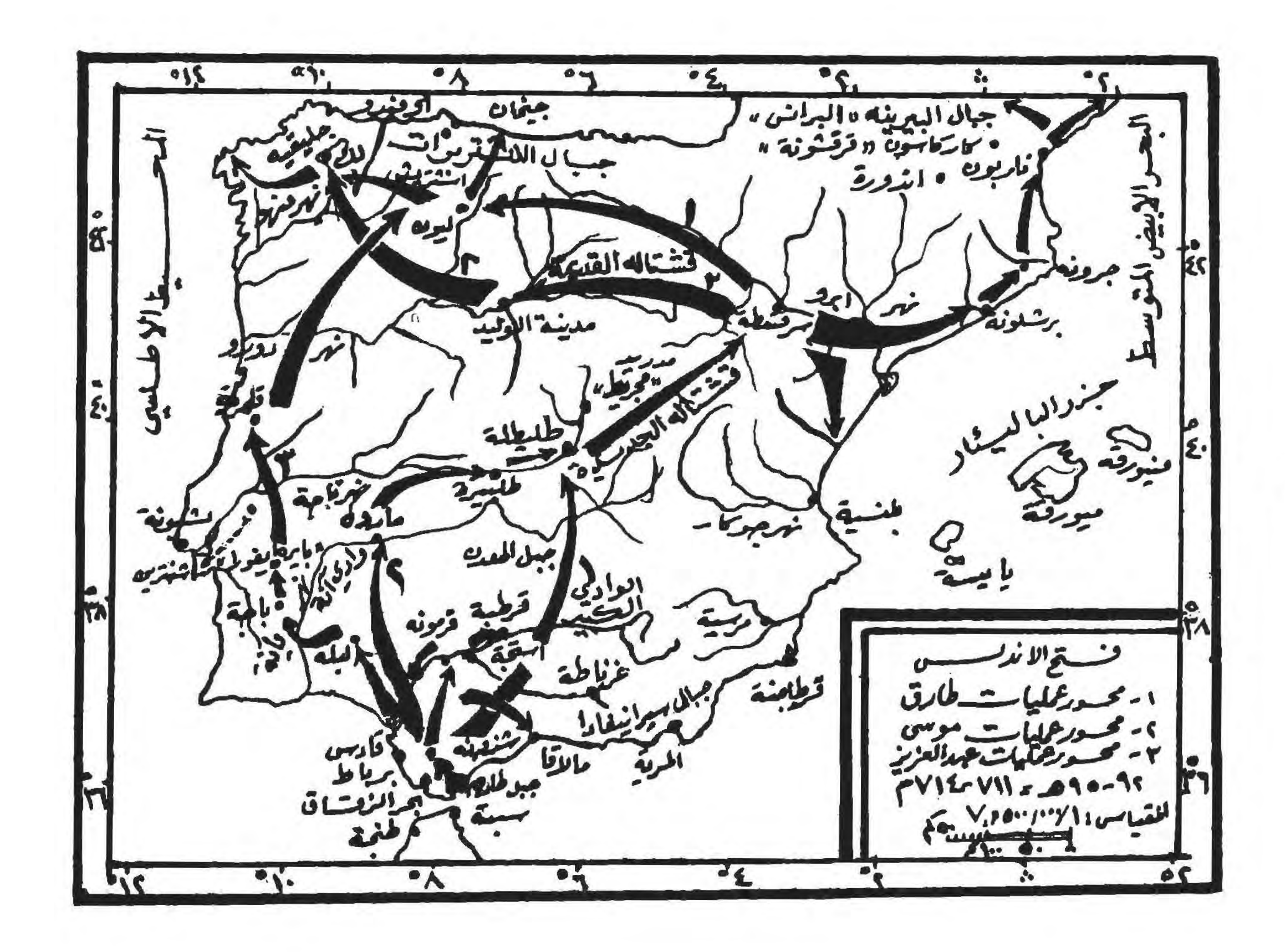
– وتقرر بعد الحوار اتباع محور الى الغرب من المحور الذي اتبعه طارق في عملياته. ولم يبرح موسى موضعه ولا فارق مشهده حتى أمر بتخطيط الموضع، الذى عقد فيه المؤتمر ، واتخاذه مسجداً ، حمل اسم « مسجد الرايات » ، وكان يقابل بباب البحر من أبواب المدينة .

....

(١) نفح الطيب ٢٦٩/١ وجاء في ابن الاثير ٢١٥/٤ وفتحمصر والمغرب (٢٨٠) انموسى خرج الى الاندلس في رجب سنة ثلاث وتسعين .

(٢) كان من الصحابة الذين ضمهم جيش موسى بن نصيرفي الآندلس حنش بن عبد اللهالصنعاني وهو الذي أشرف على قرطبة من الفج المسمى بفج المائدة ، وابو عبد الله علي بن رباح اللخمي وحيان بن ابي جبلة القرشي وابو عبد الرحمن الحبلي وعياض بن عقبة والمنذر الافريقي وكان عدد الصحابة نحو عشرين رجلا . نفح الطيب ٢٨٨/١ و ٣/٥ – ١٤

(٣) اخبار مجموعة ص ١٣ ، النص التالي : (نحن ندلك على طريق هي أشرف من طريقه ومدائن هي اعظم خطباً ..) ونفح الطيب ٢٦٩/١ .


المحيط الاطلسي
البحر الابيض المتوسط
جبال البرينيه « البرانس »
كاركاسون « قرقشونة »
ناربون
جيجان
جبال الاشتوريات
ليون
مدينة الوليد
قشتاله القديمة
قشتاله الجديدة
سرقسطة
برشلونة
جرونة
طليطلة
طلبيرة
ماردة
جبل المعدن
الوادي الكبير
قرطبة
قرمونة
استجة
غرناطة
جبال سيرانيفادا
المرية
مالاقا
قرطاجنة
مرسية
بلنسية
جزر الباليار
منورقة
ميورقة
يابسة
لشبونة
باجة
قادس
جبل طارق
بحر الزقاق
سبتة
طنجة
فتح الاندلس
١ - محور عمليات طارق
٢ - محور عمليات موسى
٣ - محور عمليات عبد العزيز
٩٢-٩٥هـ = ٧١١-٧١٤م

- كان طارق قد احتل شذونة وقرمونة ، لكن هذه المدن اصبحت مراكز للمقاومة بعد توغل طارق ومسيرته حتى طليطلة ، فتوجه موسى بجيشه في جانب ساحل شذونة وافتتحها عنوة .

- كانت قرمونة مدينة ليس بالأندلس احصن منها ولا ابعد على من يرومها بحصار او قتال فلجأ موسى الى الخديعة حيث دفع اصحاب يليان امامه فدخلوا قرمونة وكأنهم فلول قولهم الحق بهم موسى الهزيمة ، وفي الليل فتح اصحاب يليان الأبواب واقتحمتها خيول المسلمين وفرسان موسى بن نصير وتم فتح المدينة .

- سار موسى بقواته بعد ذلك الى قلعة جابر المعروفة بقلعة « وادي ابرة » او رعواق [1] فافتتحها عنوة وبذلك اصبحت القاعدة الجنوبية مأمونة ويمكن التوغل نحو الشمال .

٢ - فتح اشبيليا : [2]

توجه موسى بن نصير شمالاً في اتجاه اشبيليه ، وكان اهلها قد نقضوا اتفاقهم

---

(١) عواق AL CALA de QUADAIRA - تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس - ٩٤ - واخبار مجموعة/١٥/

(٢) اخبار مجموعة ١٦ وتاريخ الاسلام للذهبي ٣/٣٢٤ و ٤/٥٨ ونفح الطيب ٢/٢٦٩ .
- جاء في اخبار مجموعة ١٦ ، واشبيلية هي اعظم مداين الاندلس شأناً وخطبا واعجبها بنيانا واثاراً ، وكانت دار الملك قبل غلبة القوطيين على الاندلس ، فلما غلبت القوطيون حولوا السلطان الى طليطلة وبقي شرف الرومانيين وفقههم ودينهم ورياستهم في دنياهم باشبيلية ..) .
- وجاء في نفح الطيب ١/١٥٦ : (من اعظم مدن الاندلس اشبيلية ، ومن محاسنها اعتدال الهواء ، وحسن المباني ونهرها الاعظم الذي يصعد المدينة اثنين وسبعين ميلا ثم يحسر وفيه يقول ابن سفر .

شق النسيم عليه جيب قميصه ... فانساب من شطية يطلب ثاره
فتضاحكت ورق الحمام بدوحها ... هزءاً فضم من الحياء ازاره ..

←

مـع طارق وتحصنوا وراء سوار المدينة واستعدوا للحرب فنزل موسى بجيشه وحصرهم وعزل المدينة واستمر الحصار فترة طويلة تزيد على الشهر ، وعندما اشتد امـر الحصار وعرف المدافعون عن المدينة تصميم المسلمين على فتحها ، ضعفت مقاومتهم وافاد موسى من ذلك فاخترق الحصار ونجح في اسقاط المدينة وابادة المقاومة وهرب عدد من المقاومين الى « باجة » [1] فضم موسى يهودها ووضع فيها حامية صغيرة واستأنف تقدمه في اتجاه ماردة .

٣ – التوقف عند ماردة : [2]

اخترق موسى بن نصير اثناء تقدمة مدينة « لقنت » [3] وعندما اقترب مسافة تزيد على الميل من ماردة اصطدمت قواته بالحامية المدافعة عن المدينة

....

– وقال ابن رشد في المناظرة بين قرطبة واشبيلية في نفح الطيب ١ – ١٥٥
(.. اذا مات عالم باشبيلية فاريد بيع كتبه حملت الى قرطبة حتى تبـاع فيها ، وان مات مطرب بقرطبة فاريد بيع آلاته حملت الى اشبيلية ..).
وقيل عن اشبيلية (.. هذه المدينة من أحسن مدن الدنيا وبأهلها يضرب المثل في الخلاعة وانتهاز فرصة الزمان الساعة بعد الساعة ويمينهم على ذلك واديها الفرج وناديها البهج ..) .

(١) باجة BEJA في البرتغال . وكانت تضم كورة واسعة ، بها ولد المعتمد بن عبـاد ، بها معدن فضة اشتهرت بالدباغة وصناعة الكتان نفح الطيب ١ – ١٥٩ وباجة من اقدم مدائن الاندلس وارضها ارض زرع وضرع ونوارها يحسن للنحل ويكثر عنـه العسل ..) المغرب في حلى المغرب ١ – ٤٠٣ .

(٢) ماردة MERIDA هي احدى القواعد التي بنتهاملوك العجم للقرار واتخذهاسلاطين الاندلس قبل الاسلام سريراً لسلطنة الاندلس بينها وبين قرطبة ستة ايام وهي كورة واسعة لها حصون وقرى ، المغرب في حلى المغرب ١–٣٦١ ونفح الطيب ١–٢٧٠ واخبار مجموعة١٦ .

(٣) لقنت FUENTE-DE-CANTOS ، في جنـوب الشاطىء الشرقي من الاندلس وهي حصان من اعمال ماردة لقنت الكبرى ولقنت الصغرى ، نفح الطيب ١ – ٢٧٠ ومعجـم البلدان ٦ – ٣٣٦ وقد اتبع موسى في طريقه بين اشبيليا وماردة طريقاً رومانية قديمة كانت تصل بين البلدين ، وكان ظهور قوات المسلمين مباغتاً للحامية المدافعة عن لقنت فاستسلمت دونما مقاومة وسمي ذلك الفج باسم « فج موسى » او « وادي موسى » .

وجرت معركة قاسية قاتل فيها اهل الأندلس معركة عنيدة ولم يتمكن المسلمون من احراز نصر حاسم .

ـ عمل موسى بن نصير على دراسة الأرض فوجد انها تضم مجموعة كبيرة من الحفر المتناثرة كانت مقاطع للصخر فأقدم على توزيع جزء من قواته واخفائها في الحفر واحسن المقاتلون التمويه بحيث لم ينجح خصمهم في اكتشافهم.

ـ بدأت معركة اليوم الثاني بتصميم وعناد من الطرفين جميعاً . ودارت معركة طاحنة ثم اخذ التحول لمصلحة المسلمين وظهر المقاتلون من حفرهم واخذت قوة الكمين تضرب بقوة مؤخرة الخصم ، وكانت المباغتة كافية لانهيار المقاومة فأخذت فلول الأندلسيين في الانسحاب الى المدينة والافادة من تحصيناتها .

ـ نظم موسى الحصار وعزل المدينة ، لكن الحامية لم تضعف واستمرت في المقاومة اشهراً فاستخدم المسلمون الدبابة ومضوا في داخلها ونقبوا صخرة في السور ولما نزعوا الصخرة امضوا في داخلها الى الصحاء التي يقال لهـــا اللاشة ماشة (١) فنبت عنه معاولهم وعدتهم وثار بهم العدو على غفلة فاستشهد بأيديهم قوم من المسلمين تحت تلك الدبابة فسمي ذلك الموضع برج الشهداء .. (٢)

ادركت الحامية المدافعة عن ماردة تصميم المسلمين على فتح المدينة ، وكان الحصار الطويل قد مارس دوره في التأثير على نفسية المقاتلين فارسلوا وفوداً

---

(١) الاشه ـ ماشة ARGAMASSA, اي الاسمنت وتسمى ايضا LAXMAX ، نفح الطيب ١ ـ ٢٧٠ .

(٢) وتذكر المصادر ان الحامية اخذت بالتفاوض مع موسى بعد يوم برج الشهداء وأنهـم ارسلوا اليه وفداً فوجدوه ابيض اللحية ، وفي المرة التالية فوجدوه وقد صبغ لحيته بالحناء حتى وكأنها ضرام العرفج . وفي المرة الثالثة وجدوه بلحية سوداء ، فقالوا ، انا نقاتل انبياء يتخلقون كيف شاؤوا ويتصورون في كل صورة احبوا .. والرأي ان نقاربه ونعطيه ما يسأله ..)وهذه صورة اقرب إلى الخيال منها بالواقع ...

اخبار مجموعة ١٧ ونفح الطيب ١ ـ ٢٧٠ والبيان المغرب ١/٢٠ ـ ٢٢ .

لعقد الصلح وعرضوا شروطاً رفضها موسى بن نصير، واخيراً نزلوا على مطالب المسلمين وهي ان تكون جميع اموال القتلى يوم الكمين واموال الهاربين الى جيليقيه للمسلمين ، واموال الكنائس وحليها للمسلمين ايضاً ودخل المسلمين المدينة يوم الفطر ، الأول من شوال سنة ٩٤ هـ [الموافق ٣٠ حزيران ، يونيو ٧١٣ م] (١)

٤ - قمع حركة التمرد في اشبيليا :

كانت فلول الحاميات التي هزمت خلال عمليات موسى قد تجمعت في لبله (٢) وباجة (٣) من مدن الأندلس ، وعندما اصطدم موسى بالمقاومة العنيدة في ماردة اعادت هذه الفلول تنظيمها للمعركة وتحركت نحو اشبيليا ودخلتها وابادت الحامية الصغيرة التي تركها موسى في المدينة وقتل من المسلمين ثمانين رجلاً واستطاع بعضهم الفرار واعلام موسى بالموقف ، وانتظر موسى حتى انتهاء عمليات الحصار وفتح مارده فوجه قوة بقيادة ابنه عبد العزيز بمهمة القضاء على المقاومة وحماية مؤخرة جيشه وتوجه عبد العزيز الى اشبيلية واقتحمها ودمر قوة المقاومة فيها ثم توجه الى لبله وقضى على قوة القوط المتمردة وترك حامية قوية في كل مدينة تستطيع تأمين القاعدة الخليفة لتقدم المسلمين .

٥ - معركة السواقي :

- امضى موسى بن نصير شهراً في مارده ، حيث تم له تحقيق استقرار

---

(١) نفح الطيب ١ / ٢٧٠ واخبار مجموعة ١٧ - تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس ٩٨.

(٢) لبله Neibla ، قصبة كورة بالاندلس كبيرة ، شرق اكشونية وغرب قرطبة ، بينها وبين قرطبة على طريق اشبيلية خمسة ايام - اربعة واربعون فرسخاً - وهي جامعة لكل وجه من الفوائد ، جمعت البر والبحر والزرع والضرع والنحل والنتاج واجناس الثمار وكثرة الزيتون والأعناب . المغرب في حلى المغرب ١ / ٣٣٩ ومعجم البلدان ٧ / ٣١٩ .

(٣) باجه Beja في البرتغال ، وتقع على بعد ١٨٠ كم جنوب شرق الاشبونة وكانت تضم كورة واسعة ، وهي على مسافة ٦٦ كم من الحدود الفاصلة بين اسبانيا والبرتغال حالياً .

المجتمع وتنظيمه خلال هذه الفترة واعطاء القوات فترة للاستعداد من اجل متابعة العمليات ، وفي عقب شوال ، توجه بقواته يريد الوصول الى طليطله .

توفرت المعلومات عند موسى بن نصير عن تجمع قوات القوط بقيادة لذريق في الجبال الشمالية لوادي انه [١] ، فقرر استدعاء طارق لملاقاته بقواته ، وكتب اليه ، فتوجه طارق بقواته عبر وادي « الأروكامبو » [٢] وتابع موسى تقدمه فوصل طلبيرة وتوقف فيها فترة قصيره .

سار طارق مسافة قدرها مائة وخمسين كيلو متراً في الطريق من طليطلة في اتجاه طلبيره [٣] وتوقف في انتظار تقدم موسى بن نصير ، ثم انطلق موسى من طلبيره وتم اللقاء في تيتار ، او « تايد » [٤] وترجل طارق وتقدم من مولاه فوضع موسى السوط على رأسه ووبنه « انبه » فيما كان من خلاف رأيه وتجاوزه لما كان طلب اليه ان يتوقف عنده ودخله بغير امره .. وقال موسى له :

[يا طارق ، انه لن يجازيك الوليد بن عبد الملك على بلائك بأكثر من ان يمنحك الاندلس ، فاستبحه هنيئاً مريئاً ..]

فأجابه طارق :

[انما انا مولاك وهذا الفتح لك .. ووالله لا ارجع عن قصدي هذا ما لم أنته الى البحر المحيط اخوض فيه بفرسي ..]

وقبل موسى اعتذار طارق ، واستعرض قوات المسلمين في الوادي بين التاجه ونهر التيتار وحمل الوادي منذ ذلك الحين اسم المعرض .. [٥]

---

(١) وادي انه ، في سلسلة جبال سيرادي ـ فرانثيا Sierre - de, Francia ويخترق الوادي « نهر انه » الذي تقع عليه مدينة بطليوس . المغرب في حلى المغرب ١ / ٣٩٣ .

(٢) وادي الأروكامبو Valle de Arrocampo يحاذي محور طلبيره – طليطله .

(٣) طلبيره ، Talavera .

(٤) تيتار او تايد Teitar .

(٥) المعرض ، AL. Maraz .

- دفع موسى مقدمة له بقيادة طارق بن زياد، وتابع تقدمه عبر الطريق الروماني القديم من مارده الى سلمنقه [١] وتجاوز، باب سليت» [٢] ثم وصل مفرق طريق مارده « سلمنقة » ومنها الى « البادو تورس » [٣] ثم الى «ثيوداد» رودريكو [٤] وتابع تقدمه في الوادي الذي حمل فيما بعد اسم «وادي موسى» [٥] حتى وصل سيجويلا دي لوس كور نخيوس [٦] قريباً من بلدة تمامس [٧] حيث حدثت المعركة المعروفة باسم معركة السواقي.

- كان رودريك قد حشد قواته عند نهر باربا لوس [٨] مستفيداً من صعوبه الأرض، وعندما وصل المسلمون انقض عليهم وكانت معركة ضارية قاتل فيها المسلمون بتصميم وعناد حتى استطاعوا انتزاع النصر، ونجح مروان بن موسى بقتل رودريك، وتمزقت قوات القوط شر ممزق، وكانت هذه المعركة هي آخر مقاومة منظمة استطاع رودريك وضعها في طريق زحف المسلمين. [٩]

---

(١) سلمنقه Salamanca.

(٢) باب سليت Puerto de Slete Carraras.

(٣) ألبادو تورمس Alba de Tormes.

(٤) ثيوداد رودريكو Gludad Rodrico.

(٥) وادي موسى Valmuza.

(٦) سيجويلا دي لوس كورنيخوس Segoyuela, de Los cornejos.

(٧) تمامس Tamamee.

(٨) باربالوس Barbalos.

(٩) تاريخ الاسلام الذهبي ٣ / ٣٢٤ - ٣٢٥. اخبار مجموعة ١٨. نفح الطيب ١ / ٢٤٢ و ٢٧١. تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس ٩٨. قادة فتح المغرب العربي ٢٦٢.

- هناك بعض المصادر العربية التي تذكر مقتل رودريك واختفاؤه في معركة الارك لكن مؤرخي الاندلس وبعض المصادر العربية تثبت ان مقتل رودريك كان في معركة السواقي وهو الأرجح.

٦ – معاودة فتح طليطلة :

اعاد موسى تنظيم قواته بعد المعركة ودفع مقدمة لقواته بقيادة طارق بن زياد وتوجه الى طليطله .

ـ كانت بقايا قوات القوط قد افادت من مغادرة جيش طارق لطليطله فأعادت تنظيم مقاومتها ، وتحصنت وراء اسوار المدينة ، لكن انهيار جيش رودريك في معركة السواقي وقوة صدمة العرب المسلمين حطمت مقاومة القوط ودخل موسى طليطلة ظافراً ، واستولى على ما ضمنته كنائسها واديرتها من كنوز .

ـ توقف موسى في طليطلة لاعادة تنظيم المجتمع الجديد ، والاستعداد لمتابعة عملياته .

– لم يكد (موسى) يستقر في (طليطلة) حتى سارع بضرب عملة ذهبية ليدفع منها رواتب الجند الذين كانوا معه [١] .

– وعمل « موسى » على جمع الغنائم ، وإخراج الخمس وإرساله إلى بيت مال المسلمين في دمشق وأرسل وفداً يحمل بشائر الفتح إلى الخليفة وكان في الوفد علي ابن رباح ، ومغيث الرومي واحتفظ موسى بقدر من الغنائم لحملها في المستقبل إلى دمشق ومن بينها تيجان الملوك [٢] .

– وعندما أنهى موسى استعداده ، وتحقق له الاستقرار في قاعدة عملياته

---

(١) فجر الاندلس ١٠٠ .

(٢) الحلل السندسية ١ / ١٦٩ . وبغية الملتمس ٩ وفيه :

(... عندما انتهى طارق الى مدينة طليطلة وهي مدينة الملوك وجد فيها بيتاً يقال له بيت الملوك ووجد فيه خمسة وعشرين تاجاً مكللة بالدر والياقوت وهي على الملوك الذين حكموها كلما مات ملك جعل تاجه في ذلك البيت وكتب على التاج اسم صاحبه وكم أتى عليه من الدهر الى يوم مات وكم عدد من سبقه من ولاة الاندلس منذ افتتحت الى يوم ولايته ..) وفي اخبار مجموعة ٢٨ ، وتاريخ افتتاح الاندلس لابن القوطية ١٤٠ – ١٤١ مزيد من التفاصيل .

« طليطلة » أعاد تنظيم جيشه وانطلق به لمتابعة الفتوح واضعاً هدفه الأول الاستيلاء على سرقسطه [1] .

٧ - فتح سرقسطة وفتوح الشمال :

- دفع موسى مقدمه لقواته بقيادة طارق بن زياد ووضع هدفه الأول الاستيلاء على سرقسطة « عاصمة الثغر الأعلى » [2] ومضى موسى يتبع المقدمة على محور ، مغام [3] ، وادي الحجارة [4] ، مدينة سالم [5] ، قلعة أيوب [6] ، سرقسطة .

- لم يلق تقدم المسلمين مقاومة كبيرة بعد سقوط طليطلة ، وتمزق جيش القوط في معركة « السواقي » . (فقد القى الله الرعب في قلوب العدو فلم يعارضها

---

(١) سرقسطة : مدينة بناها القيصر اغسطس فحملت اسمه Ceasar - Augusta عام ٢٣ ق.م فوق انقاض مدينة ايبيريه اسمها سلدوبا Salduba وقيل ان موسى بن نصير شرب من ماء نهر جلق بسرقسطة فاستعذبه وسأل عن اسمه ونظر الى ما عليه من البساتين فشبهها بغوطة جلق الشام ، وتقع سرقسطة على نهر ابره يشتق منه نهر جلق Gallego جاريا الى الشمال بينما يسير نهر شالون Jalon وهرفا Huerva الى الجنوب ، وكان استيلاء المسلمين على سرقسطة سنة ٩٤ هـ - ٧١٢ م بعد اخذهم طليطلة بقليل حيث زحف اليها موسى بن نصير ففتحها وفتح القصاب والحصون التي حولها .. معجم البلدان ٥ / ٧١ - الحلل السندسية ١ / ١١٩ و ٢ / ١٩١ . المغرب في حلى المغرب ٢ / ٤٣٤ ونفح الطيب ١/١٥٠ و ١٩٦ .

(٢) قسمت الاندلس بعد الفتح الى ثغور ثلاثة « مناطق عسكرية » :

آ - الثغر الاعلى - أو - الثغر الاقصى ، ويشمل سرقسطة وكورتها .

ب - الثغر الاوسط ، ويشمل مدينتي سالم ويمتد حتي طليطلة .

ح - الثغر الادنى ، ويشمل قويرة والكورة المحيطة بها .

(٣) مغام MAGAM .

(٤) وادي الحجاره GUADALJARA من اعمال طليطلة.

(٥) مدينة سالم MEDINACELI تضم الكورة المسماة بكورة سالم ايضا وقبر المنصور ابن أبي عامر في مدينة سالم وهي من المدن الجليلة ويقال ان طارق وجد فيها مائدة سليمان .

(٦) قلعة ايوب KALAT AYOUB والاسبان يقولون CALATAYUE بانها ايوب ابن حبيب اللخمي ابن اخت موسى بن نصير وهي بقرب مدينة سالم بينها وبين دروقة ١٨ ميل.

أحد الا بطلب الصلح وموسى يجيء على اثر طارق في ذلك كله ويكمل ابتداؤه ويوثق للناس ما عاهدوه عليه فلما صفا القطر كله وطامن نفوس من اقام على سلمه ووطأ لاقدام المسلمين في الحلول به أقام لتمييز ذلك وقتاً ...)

– بعد مراحل من المسير والتوقف وصلت طلائع المسلمين حتى مشارف سرقسطة وكان أهلها قد أخذوا في مغادرتها والفرار بعيد عنها حيث الجبال والمناطق المقفرة (واخذ اسقف المدينة « بنسيو » [1] ومن معه من الرهبان في جمع كتبهم المقدسة وذخائرهم الموروثة وقرروا الهجره من البلد والفرار بهذه الذخائر وعلم موسى بذلك فأرسل اليهم رسولاً يؤمنهم ويعطيهم عهده فسكنت مخاوفهم وعدلوا عن مغادرة مدينتهم التي دخلها المسلمون [2] واقاموا حامية فيها واحتفظ فيها حنش بن عبد الله الصنعاني مسجداً حمل اسمه[3] ، ثم تابع موسى تقدمه فاحتل وشقة [4] ولاردة [5] وطركونة [6] .

عندما تجاوزت قوات المسلمين سرقسطة،اخذت بقايا قوات القوط في التجمع في محاولة اخيرة لايقاف زحف المسلمين ، وتمركزت المقاومات في القلاع الشمالية، فتوجه موسى اليها وخاض معارك قاسية والجأها الى الحصون ثم حاصرها بضعاً وعشرين ليلة فلما طال ذلك على موسى . استنفر قواته كلها وحشدها لمعركة حاسمة وجاء في وصف هذه المعركة على لسان احد شهودها حيث قال :

---

(١) الكاهن ، بنسيو BENCIO .

(٢) فجر الاندلس ١٠٢ ، تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس ١٠٠ .

(٣) صفة جزيرة الاندلس ٩٧ .

(٤) وشقة HUESCA ، من مشاهير مدن الثغر شمال سرقسطة .

(٥) لاردة LERIDA ، مدينة مشهورة من مدن الثغر ، تقع الى شرق قرطبة تتصل اعمالها باعمال طركونة .

(٦) TARRAGONA ، مدينة تقع على ساحل البحر الابيض المتوسط بينها وبين لاردة خمسون ميلاً .

[... ظننا ان موسى، قد بلغه مادة [1] من العدو وقد دنت منا وانه يريد التحول عنهم فاصبحنا على تعبئة فقام فحمد الله ثم قال : ايها الناس ! اني متقدم امام الصفوف فاذا رأيتموني قـد كبرت وحملت فكبروا واحملوا فقال الناس : سبحان الله .. اترى فقد عقله أم عزب عنه رأيه ؟ يأمرنا نحمل على الحجارة وما لا سبيل اليه ؟ فتقدم بين يدي الصفوف حيث يراه الناس ثم رفع يديه وأقبل على الدعاء والرغبة فاطال ، ونحن ركوب منتظرون تكبيرة فاستعددنا ثم ان موسى كبر وكبر الناس وحمل وحمل الناس [2] ثم جال المسلمون جولة وهموا بالهزيمة فامر موسى بن نصير بسرادقه فكشف عن ثيابه وحرمه حتى يرون وبرز بين الصفوف ... وكسرت بين يديه اغماد السيوف ... [3] ثم فتح الله ونزل النصر ...] [4] .

– اندفعت قوات المسلمين بعد هذا النصر الحاسم لاكمال فتح القسم الشرقي من الاندلس وقاد طارق المجموعة المتقدمة وامكن له احتـلال طرطوشة [5] وبلنسيه [6] وشاطبة [7] ودانية [8] دون مقاومة كبيرة. وبذلك سيطر المسلمون على القسم الأكبر من الأندلس ولم يبق الا بعض المقاومات في الغرب «جيليقيه» وقسم في الشمال فيما وراء جبل البرتات « البيرنيه » .

---

(١) مادة : مدداً ودعما .

(٢) الامامة والسياسة ٢/٧٩ .

(٣) كسرت بين يديه اغماد السيوف ، كناية عن الاستقتال « والتصميم على الشهادة » .

(٤) تاريخ الاسلام - الذهبي - ٤ - ٥٨ وتاريخ افتتاح الاندلس ، ابن القوطية ١٤٩ .

(٥) طرطوشة ، TORTOSA ، مملكة في شرق بلنسية ، بها قلعة اشتهر أمرها في عهد المسلمين ، من مدن الثغر الاعلى .

(٦) بلنسية ، VALENCE ، من اكبر مدن الساحل الشرقي ازدهارا في العصور الاسلامية الى الشمال من دانية على شاطيء البحر وكانت تسمى مدينة التراب .

(٧) شاطبة SATIVA ، اشتهرت بحصنها ، الى الشمال من لقنت ALICAN .

(٨) دانية DENIA ، مدينة عظيمة تنافس بلنسية ، اكتسبت اهمية خاصة في حكـم ملوك الطوائف .

– كانت الأندلس عند الفتح تضم اليها مقاطعة روسيلون [١] المسماة بالبيرنية الشرقية والتي كانت «بيربينيان» [٢] قصبتها . بالاضافة الى قسم من اللانغدوك [٣] وهي المقاطعة الواقعة الى الشمال من روسيلون وطلوشة « تولوز » قصبتها وقسم من البروفانس في جنوب فرنسا تضم جبال الالب السفلى ومصاب نهر الدون وبلاد نفار والفوكلوز .

تابعت قوات المسلمين تقدمها في اتجاه شمال شرق الأندلس واخترقت الثغرة بين جبال البيرنيه والبحر الأبيض المتوسط – عبر المحور الذي سبق لقوات قرطاجة اختراقه بقيادة هانيبال – هانيبعل – حيث خاضت معركة كاني الشهيرة في ايطاليا ٢١٦ ق.م .

– استولت قوات المسلمين في طريق زحفها على برشلونة [٤] ثم انتقلت منها الى جرندة [٥] وتابعت تقدمها حتى وصلت اربونة [٦] واصبح باستطاعتها التوغل فيما وراء جبل البرتات ..

– اتبعت قوات المسلمين في تقدمها محورين محور شمالي حيث وادي نهر الرون [٧] « ودونة » ووصلت حتى ليون «لودون» [٨] كما توجهت غرباً فاستولت

....

(١) روسيلون ROUSSILLON .
(٢) بيربينيان PERPIGNAN .
(٣) اللانغدوك LANGUEDOC .
(٤) برشلونة BARCELONA ، مدينة بينها وبين طركونة خمسون ميلا وهي الى الشمال منها .
(٥) جرندة GERONA ، عاصمة احدى مقاطعات كاتالونيا CATALUNA في الطرف الشمال الشرقي من الاندلس على بعد ١٠٠ كم الى الشمال الشرقي من برشلونة على مقربة من الحدود الفرنسية .
(٦) اربونة NARBONNE وبقيت قاعدة الحدود بين العرب والافرنجة طوال نصف قرن . وهي الى الشمال الشرقي من قرقشونة ، على الساحل الجنوبي لفرنسا .
(٧) وادي ردونة، RHONE يخترقه نهر الرون الذي يصب جنوباً في البحر الابيض المتوسط .
(٨) لودون ، او لوذون ، ليون LEON .

على قرقشونة [١] « كاركاسون » وجعل المسلمون من أفنيون [٢] وأربونـــة . قواعد متقدمة لعملياتهم [٣] .

– اوغل المسلمون في تقدمهم حتى انتهوا الى وادي ردونة (فكان اقصى اثر العرب ومنتهى موطئهم من ارض العجم ... (وسيطرت قواهم على اربونة وصخرة ابنيون ، وحصن لودون على وادي ردونه)... فارتاع قارله[٤] ملك الافرنجة بالأرض الكبيرة وانزعج لانبساطهم فحشد لهم وخرج عليهم في جمع عظيم فلما انتهى الى الحصن لودون وعلمت العرب بكثرة جموعه زالت عن وجهه واقبل حتى انتهى الى حصن ابنيون ، فلم يجد بها احداً وقد عسكر المسلمون فيما بين (الجبال) المجاورة لمدينة اربونه .. وقاتل المسلمون قتالاً شديداً استشهد فيه جماعة منهم ، وحمل جمهورهم على صفوفه حتى اخترقوها ودخلوا المدينة ولاذوا بحصانتها .. فنازلهم بها اياماً اصيب له فيها رجال ، وتعذر عليه المقام وخامره ذعر وخوف مدد للمسلمين ، فزال عنهم راحلاً الى بلده وقد نصب في وجوه المسلمين حصوناً على وادي ردونة شكلها بالرجال فصيرها ثغراً بين بلده والمسلمين ..] [٥]

– بعد هذا الفشل [**اجتمعت الافرنج الى ملكها الاعظم قارلة ... وقالت له : ما هذا الخزي الباقي في الأعقاب ؟ كنا نسمع العرب ونخافهم من جهة مطلع الشمس حتى أتوا من مغربها واستولوا على بلاد الاندلس وعظيم مـا فيها من العدة والعدد بجمعهم القليل وقلة عدتهم وكونهم لا دروع لهم فقال لهم ما معناه:**

....

(١) قرقشونة « كاركاسون » CARCASSONNE الى الجنوب من تولوز ، على خط طول غرينيتش في جنوب فرنسا وقريبة من الحدود الاسبانية ، حيث جبال البيرينة .

(٢) أفينيون ، AVIGNON .

(٣) تاريخ غزوات العرب ، اوسلان ، ٦٤ .

(٤) قارلهCARLUS - CHARLES هو شارل مارتل .

(٥) نفح الطيب ـ المقري /١/٢٧٤ .

الرأي عندي أن لا تعترضوهم في خرجتهم هذه فانهم كالسيل يحمل من يصادره وهم في اقبال أمرهم ، ولهم نيات تغني عن كثرة العدد وقلوب تغني عن حصانة الدروع ولكن أمهلوهم حتى تمتلىء ايديهم من الغنائـــم ويتخذوا المساكن ويتنافسوا في الرياسة ويستعين بعضهم ببعض فحينئذ تتمكنون منهم بأيسر امر ...] [1] .

ـ بدا التذمر بين صفوف المقاتلين واخذوا يتساءلون منذ تجاوزوا سرقسطه [اين يذهب بنا ؟ حسبنا ما بأيدينا ..] [2] .

وعندما او غلت قواتهم فوصلت ما وصلته من ارض اغاليا ، وتجاوزوا قرقشونة وقف التابعي جيش الصنعاني ليذكر موسى بأحاديثه السابقة حول عمليات عقبة بن نافع وقوله :

(لقد غرر ، عقبة ، بنفسه حين وغل حيث وغل والعدو عن يمينه وعن شماله وامامه وخلفه ، وما كان معه رجل رشيد ينصحه ..) .

ثم امسك حنش بعنان موسى وقال له :

(... ايها الأمير اني سمعتك وانت تذكر عقبة بن نافع وتقول لقد غرر بنفسه وبمن معه ، وما كان معه رجل رشيد ، وأنا رشيدك اليوم. اين تذهب؟ تريد ان تخرج من الدنيا او تلتمس اكثر واعظم مما اعطاك الله .. واعرض مما فتح الله عليك ودوخ لك ، اني سمعت من الناس ما لا تسمع وقد ملوا ايديهم.. واحبوا الدعة .. فضحك موسى ثم قال : ارشدك الله ، وكثر في المسلمين مثلك ثم انصرف قافلا الى الاندلس وقال موسى يومئذ : اما والله لو انقادوا الي لقدتهم حتى اوقفتهم على رومه ، ويفتحها الله على يدي ...) [3] .

---

(١) نفح الطيب ١/ ٢٧٥ .

(٢) نفح الطيب ١/٢٦٧ .

(٣) تاريخ افتتاح الاندلس ابن القوطية ١٥٣ وتاريخ غزوات العرب ٦٤ ، ودراسات في تاريخ الاندلس وحضاراتها احمد بدر ٢٨ ، والامامة والسياسة ٢/ ٨٠ والمقتبس من ابناء اهل الاندلس ٢٣٨ و ٢٤٢ .

- رجع موسى بقوته الى طليطلة وذلك بعد ان نظم الثغور واقام حاميات للدفاع عنهـــا ، واخذ في تنظيم المجتمع الجديد ، والاستعداد لتصفية بقية المقاومات في الغرب وانتشر المسلمون في كل مكان من الأندلس .

٨ - فتوح شمال غرب الأندلس « جيليقية » :

- أفاد موسى من فصل الشتاء ، فأعاد تنظيم قواته وأرسى قواعد المجتمع الجديد ، ونجح في اثارة حماسة جنده لمتابعة الفتوح ، وبينما كان يستعد لانطلاقته الجديدة كان مغيث الرومي قد نجح في اثارة مخاوف الخليفة الأموي الوليـــد ، فكلفه بابــلاغ موسى ضرورة العودة الى دمشق . لكن موسى نجح في اقنـاع مغيث بالمسير معه لفتح جيليقية حيث لم يبق في الأندلس بلد لم تدخله العرب الى وقته غيرها ، وقد وهب موسى مغيثاً الموضع الذي ينسب اليـــه ويعرف باسم « بلاط مغيث » بجميع أرضه - من أرض الخمس - لقاء مشاركته في أعمال الفتح.

- وضع موسى مخططه على أســـاس احتلال اقليم « القلاع - أو - قشتالة القديمة »[١] ، فقسم جيشه الى مجموعتين قتاليتين تولى قيادة الأولى طارق بن زياد وتولى هو قيادة المجموعة الثانية .

- انطلق طارق في تحركه على محور سرقسطة - محور نهر إبره[٢] - امايه[٣] ليون[٤] - استرقة[٥] ، حيث كان هناك طريق روماني قديم في سفوح جبـال

....

(١) قشتاله القديمة Castilla - la Vieja ، اقليم عظيم بالاندلس ، قصبة طليطلة .

(٢) نهر ابره Ebro ، نهر ينبع من جبال كنتبريه ويشرق فيصب في البحر المتوسط ، ومن اشهر المدن عليه سرقسطه وطرطوشه .

(٣) امايـــه Amaya .

(٤) ليون Leon ، بلد في اقليم جيليقيه .

(٥) استرقه « اشترقه » Astroßa ، من اقليم جيليقيه الى الغرب في اتجـــاه الشمال من مدينة نبله Neibla .

كنتبريه ، واصطدم طارق بقوات « البشكنس »[1] في غرب نهر إبره ، ووجد زعيم البشكنس واسمه « مُزْتُـون » انه لا قبل له بحرب المسلمين فانضم اليهم واعتنق الاسلام فأعفيت منطقته « شيه »[2] من التخميس . ثم تابع طارق سيره ففتح امايه وليون واسترقة .. وكان ذلك في عام ٩٢ هـ - ٧١١ م[3]..

وبذلك سيطرت قوات المسلمين على السفوح الجنوبية للبيرينه بما فيها بمبلونا[4].

في الوقت الذي تحرك فيه طارق على المحور الشمالي ، اندفع موسى بتقدمه عبر المحور الجنوبي مستفيداً من حماية طارق لجناحه الأيمن وسيطرة المسلمين على المناطق الجنوبيـة ، وكان مسيره على محور سرقسطة - حصن بارو[5] - بلد الوليد[6] - تارنا[7] لك[8] عبر اقليم قشتالة القديمة - وادي نهر النالون[9] - اقليم جيليقيه[10].

- انطلق موسى بجيشه وسار بسرعة عبر اقليم قشتالة ولقي مقاومة ضعيفة

(١) البشكنس Lies Basques ، قوم كانوا يقطنون جبال البيرنيه وتزوج الحكم بن الناصر منهم بالسيدة صبح البشكنسية التي كان لها دور كبير في ادارة الدولة .

(٢) شيه Ejea .

(٣) الرسالة الشريفية في الاقطار الاندلسية ٢٠٠ - ٢٠٤ ، اخبار مجموعة ١٥ تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس ١٠٣ .

(٤) بمبلونا Pamplona أو Pampeluna ، عاصمة ولاية نافار Navara كانت من ممالك اسبانيا النصرانية على عهد المسلمين .

(٥) حصن بارو ، او باروز Villa Baruz قلعة قريبة من بلد الوليد .

(٦) بلد الوليد ، Valla - Dolid

(٧) تارنا Tarna .

(٨) لك ، هي Lucus - Asturum ، وتسمى اليوم Santa - maria de Lugo

(٩) نهر النالون ، Nalon .

(١٠) اقليم جيليقيه Galicia ويسميها العرب ايضاً غاليسيه .

عند حصن بارو ،ثم قام باستدارة واسعة نحو الشمال حتى وصل لك بأشتوريش[1] حيث توقف فيها ووجه مجموعات قتالية ففتحت أبيط[2] وسار هو الى خيخون[3] ووجه سرية فاحتلت صخرة « بلاي »[4] على المحيط « البحر الأخضر » وعمل موسى على تنظيم المناطق التي فتحها وأقام الحاميات في المراكز الهامة ، وتحقق الأمن والاستقرار ونزل العرب والبربر في كل موضع استحسنوه ، واستقروا في كل مكان من الأندلس .

– وفي هذه المرحلة (وبينما موسى كذلك في اشتداد الظهور وقوة الأمل إذ قدم عليه رسول آخر من الخليفة يكنى أبا نصر أردف به الوليد مغيثاً لما استبطأ موسى في القفول وكتب اليه يوبخه ويأمره بالخروج وألزم رسوله ازعاجه ، فانقلع حينئذ من مدينة لك بجيليقيه وخرج على الفج المعروف بفج موسى ووافاه طارق في الطريق منصرفاً من الثغر الأعلى فأقفله مع نفسه ومضيا جميعاً ومعهما من الناس من اختار القفول ، وأقام من آثر السكنى في مواضعهم التي كانوا قد اختطوها واستوطنوها وقفل معهم الرسولان مغيث وأبو نصر حتى احتلوا باشبيلية)[5] .

---

(١) اشتوريش Asturias أو اشتريس .

(٢) ابيط Oviedo ويسميها ابن حوقل اوبيط .

(٣) خيخون Gijon .

(٤) صخرة بلاي Pena de Pelayo وهي أقصى نقطة من اشتوريش على المحيط الاطلسي « البحر الاخضر » وتسمى صخرة بلاي نسبة الى مجموعة من المقاومة تزعمها بلاي .

(٥) نفح الطيب ١ / ٢٧٦ ، وأخبار مجموعة ١٩ . وفي نفح الطيب ١ / ٢٧٧ ان المسلمين أوغلوا في بلاد الافرنج حتى وصلوا مفازة كبيرة وارض سهلة ذات آثار فأصاب فيها صنماً قائماً كالسارية مكتوباً فيها بالنقر كتابة عربية قرئت : (يا بني اسماعيل ، انتهيتم فارجعوا ...) فهاله ذلك وقال ما كتب هذا الا لمعنى كبير فشاور أصحابه في الاعراض عنه وجوازه الى ما وراءه فاختلفوا عليه فأخذ برأي جمهورهم وانصرف بالناس وقد أشرفوا على قطع البلاد وتقصي الغاية ... ولا حاجة لدحض هذه الرواية في أسباب توقف موسى عن متابعة الفتح .. فالاحداث في حد ذاتها تدحضها وتسقطها ..

٩ - فتح عبد العزيز بن موسى في الاندلس :

بعد قمع حركة التمرد في اشبيليا ، بقيادة عبد العزيز بن موسى ، ظهرت ضرورة تصفية المقاومات في غرب الأندلس ، فانطلق عبد العزيز لتصفية المقاومات وحماية الجناح الأيسر لتقدم والده وقائده موسى بن نصير . وهناك تناقض في تاريخ تنفيذ عمليات عبد العزيز بن موسى ، لكن الاحتمال الأرجح هو أن سير عمليات عبد العزيز سارت متوافقة مع عمليات موسى بن نصير ، ومما يثبت هذا الاحتمال ورود عدد من النصوص التاريخية التي تجمع على أن الأندلس فتحت بكاملها عندما غادرها موسى بن نصير عائداً الى دمشق .. وان (سائر البلاد خمست وقسمت بحضر التابعين الذين كانوا مع موسى ابن نصير ...) .

انطلق عبد العزيز بن موسى من اشبيليا واتبع في تقدمه محور - لبله - باجه - يابره[1] وعبر نهر تاجه حتى وصل شنترين[2] ثم تابع زحفه شمالاً فاحتل قلمريه[3] ، وتابع مسيرته بهدف الالتقاء مع قوات أبيه في استرقه .

- بعد مطاردة عبد العزيز لفلول المقاومة وتصفيتها في لبله وباجه ، استمرت عمليات فتوح غرب الأندلس دون مقاومة كبرى وأخذت المدن والقلاع تتساقط في أيدي المسلمين وتستسلم لهم، وقد أمضى عبد العزيز بن موسى عام ٩٣ - ٩٤هـ

....

(١) يابره Evora ، بلد في غرب الاندلس ، من المدن المشهورة في المملكة البطليوسية ، كثيراً ما يذكرها ابن عبدون في شعره .

(٢) شنترين Santarem ، مدينة معدودة في كورة باجه من منطقة الغرب (أي البرتغال) وتبعد ٦٧ كيلومتراً عن الاشبونه - شمالاً - ، تقع على نهر تاجه وقريباً من انصبابه في البحر المحيط .. وهي مدينة حصينة ، وأرضها غابة من الكرم والطيب ، وكانت ولاتها في عهد المسلمين تتردد عليها من أشبونه .

(٣) قلمريه Coimbra .

في فتح الغرب وتنظيمه وترك الحاميات فيه ، وعندما التقت قواته بالقوات الرئيسية في الشمال كان على موسى بن نصير العودة الى اشبيلية ، فرافقه عبد العزيز في طريق العودة ، وعندما وصل الجميع الى هدفهم (استخلف موسى ابنه عبد العزيز في اشبيلية ، بعد أن اختارها عاصمة للأندلس ، لاتصالها بالبحر ، وترك معه حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع الفهري وزيراً له ومعيناً وترك العساكر ووجوه القبائل من يقوم بحماية البلاد وسد الثغور وجهاد العدو) وانتهت بذلك مرحلة من المراحل الحاسمة في فتح الأندلس[1] ...

—★—

[1] الرسالة الشريفية الى الاقطار الاندلسية ٢٠٠ ، تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس ١٠٩ ، تاريخ افتتاح الاندلس ٣٦ .

قراءات

موسى بن نصير اللخمي « أبو عبد الرحمن »

١٩ - ٩٧ هـ - ٦٤٠ - ٧١٨ م

- كان أبوه من سبايا « عين تمر » حيث سباهم خالد بن الوليد سنة ١٢ هـ وهم صبية . أعتقه بعض بني أمية فرجع الى الشام ثم أصبح من حرس معاوية بن أبي سفيان وأصبح بعد ذلك على حرس معاوية وعلى جيوشه .

- ولد موسى في « كفر مترى » من قرى جبل الخليل في الشام ، ونشأ في بيئة شديدة الصلة بالبيت الأموي ، وفي أسرة امتاز أفرادها بالجرأة والصراحة والتقى .

- كان أول عهد موسى في القيادة توليه قيادة البحر أيام معاوية بن أبي سفيان .

سنة ٦٤ هـ ، كان موسى من أنصار عبد الله بن الزبير واشترك في معركة مرج راهط ، وعندما انتصر مروان بن الحكم هرب موسى الى مصر والتجأ الى عبد العزيز بن مروان الذي توسط له بالصلح عند أبيه .

سنة ٦٥هـ : عمل مروان بن الحكم على تعيين موسى بن نصير وزيراً ومشيراً لابنه عبد العزيز في ولاية مصر .

سنة ٧١هـ : ولى عبد الملك بن مروان أخاه بشر بن مروان الكوفة ثم ولاه البصرة سنة ٧٣ هـ فاجتمع له المصران الكوفة والبصرة وجعل عبد الملك معه موسى وزيراً ومشيراً .

سنة ٧٥ هـ : توفي بشر بن مروان أمير العراقين بالبصرة وولى عبد الملك بن مروان الحجاج بن يوسف الثقفي العراق فاتهم موسى بن نصير أنه احتجن الأموال لنفسه فهرب الى مصر حيث أنقذه عبد العزيز بن مروان - من جديد - .

سنة ٨٥ هـ : وجه غزوة الأشراف لفتح صقلية .

سنة ٨٦ هـ : عين الوليد بن عبد الملك ، موسى بن نصير لولاية افريقية ، فقاد موسى عمليات الفتح ، ووصل حتى المحيط ولم تمتنع سوى « سبتة » فعين موسى قوة لحصارها بقيادة طارق بن زياد ، ونجح في تحقيق الاستقرار .

سنة ٨٩ هـ : وجه قوة بحرية ففتح سردانية ، كما وجه قوة أخرى لفتح ميورقه ومنورقه .

سنة ٩١ هـ : وجه موسى قوة استطلاعية بقيادة يوليان ، ثم طريف ..

سنة ٩٢ هـ : وجه موسى قوة لفتح الاندلس بقيادة طارق بن زياد ، عددها سبعة آلاف مقاتل ثم دعمه بقوة أخرى من خمسة آلاف مقاتل .

سنة ٩٣ هـ : قاد موسى بن نصير قوة ١٨ ألف مقاتل لدعم الفتوحات ، واكمال فتح الأندلس .

سنة ٩٦ هـ : عاد موسى الى دمشق بأمر من الوليد بن عبد الملك ، وقد عومل معاملة سيئة من قبل سليمان بن عبد الملك .

سنة ٩٧ هـ : خرج سليمان بن عبد الملك الى الحج ، وفي ركبه موسى بن نصير حيث توفي موسى في وادي القرى ..

—★—

طـــارق بن زياد (١)

٥٠ - ١٠٢ هـ - ٦٧٠ - ٧٢٠ م

طارق بن زياد ، الليثي بالولاء ، أصله من البربر ونسبه طارق بن زياد بن عبد الله بن ولغو بن ورفجوم بن نبرغاس بن ولهاص بن يطوفث بن نفزاو ، أسلم على يد موسى بن نصير ، فكان من أشد رجاله بأساً ..

سنة ٨٩ هـ : وبعـــد أن تم لموسى فتح طنجة ولى عليها طارقاً على رأس حامية مكونة من تسعة عشر ألف مقاتل معظمهم من البربر .

سنة ٩٢ هـ : توجه طارق الى الاندلس بأمر من موسى بن نصير ومعه قوة مكونة من سبعة آلاف مقاتل وخاض معركة حاسمة في وادي لكه انتصر فيها على رودريك ملك القوط ، ثم تابع زحفه فاستولى على اشبيليا واستجه ووجه قوة بقيادة مغيث الرومي فاستولى على قرطبة بينما توجـــه طارق شمالاً حتى استولى على طليطلة ، وجعلها قاعدة انطلق منها لاحتلال وادي الحجـارة (٢) ، وفج طارق (٣) ، ومدينة سالم (٤) حيث عثر فيها على المائدة التي اكتسبت شهرة خاصة في التاريخ .

سنة ٩٣ هـ : التقت قوات طارق بقوات موسى بن نصير التي قدمت بطلب دعم من طارق ثم توجه طارق كمقدمة لموسى من أجـــل متابعة الفتوح شمالاً حيث استولت قوات المسلمين على وادي ردونه « وادي الرون » في فرنسا .

سنة ٩٦ هـ : توجه طارق الى دمشق مع موسى بن نصير ومغيث الرومي

---

(١) المرجع : نفح الطيب ١ / ٢٥٠ والبيان المغرب ١ / ٢٣ . الكامل في التاريخ لابن الاثير ٤ / ٢١٢ ، تاريخ ابن عساكر ٧ - ٣٨ .

(٢) وادي الحجارة : Guadalajara .

(٣) فج طارق : Buitroco .

(٤) مدينة سالم : Medinaceli .

وغيرهم ، وشكى ما لقيه من حيف للوليد فأنصفه ، وكان الوليد يعتزم تعيينه لولاية الاندلس لكن وشاية مغيث الطامح لولاية الاندلس، أعاقت الوليد ومنعته من تنفيذ ما قرره .

– لم يذكر المؤرخون شيئاً عن طارق بعد وصوله الى دمشق وأحيطت نهايته بستار من الصمت .

– تميزت قيادته بالجرأة والاندفاع والسيطرة القوية على القوات ، في حين تميزت قيادة موسى بالحكمة والتخطيط السليم والتقدير الجيد للمواقف فكان كل قائد مكمل لدور الآخر ..

– أنشد طارق في الفتح قصيدة جاء فيها :

ركبنا سفيناً بالمجاز مقيراً ... عسى أن يكون الله منا قد اشترى
نفوساً وأموالاً وأهلاً بجنة ... اذا ما اشتهينا الشيء فيها تيسرا
ولسنا نبالي كيف سالت نفوسنا ... اذا نحن أدركنا الذي كان أجدرا

—★—

مغيث الرومي[1]

... – ١٠٠ هـ = ... – ٧١٨ م

مغيث بن الحارث بن الحويرث بن جبلة بن الأيهم الغساني ، وقع في السبي أثناء معارك المسلمين مع الروم وهو صغير ، فضمه عبد الملك بن مروان اليه وأدبه مع ابنه الوليد . ونشأ مغيث في دمشق فأفصح بالعربية وقال الشعر وتدرب على ركوب الخيل وخوض المعارك ، ووجهه الوليد الى الاندلس غازياً مع طارق ، فدفعه طارق لفتح قرطبة ومعه سبعمائة مقاتل ففتحها سنة ٩٢ هـ وأمر ملكها .

....

(١) الاعلام ٨ ـ ١٩٧ ونفح الطيب ٣/١٢ ، جذوة المقتبس ٣٣٣ وجاء اسمه في بغية الملتمس طبعة « مجريط » ص ٤٦١ ، معتب عوضاً عن مغيث .

– عرف عن مغيث الخبث والدهاء وسلاطة اللسان ، وكان هو يعرف ذلك عن نفسه ، قال له موسى بن نصير وقد عارضه بكلام في محفـــل من الناس ، فأجابه : لساني كالمقصل ، ما أكفه إلا حيث يقتل ..

– واختلف مع طارق وموسى فقال يتوعدهما :

أعنتكم ولكن مـــا وفيتم   فسوف أعيث في غربٍ وشرق

ونفذ وعيده وتهديده بالوشاية بهما الى الوليد.. وسأله سليمان يوماً عن طارق وقد رغب في تعيين طارق لولاية الاندلس فقال له :

كيف أمره بالأندلس ؟ فأجابه مغيث :

[لو أمر أهلها بالصلاة الى أي قبلة شاءها لتبعوه ولم يروا انهم كفروا ..]

وكانت هذه المكيدة كافية لإثارة مخاوف سليمان حول امكانات تمرد طارق فصرف النظر عن تعيينه ..

– عاد مغيث الى الاندلس واستقر في قرطبة ، ولم يذكر المؤرخون شيئاً عنه لكن من المعروف انه أنجب ذرية كثيرة ، نجبوا في قرطبة وعرفوا ببني مغيث وسادوا وعظم بيتهم وتفرعت دوحتهم .. وان الاحتمال الارجح هو ان مغيث قضى آخر أيامه في قرطبة ..

—★—

عبد العزيز بن موسى بن نصير(١)

... – ٩٧ هـ = ... – ٧١٦ م

برز دوره القيادي للمرة الاولى عند اعادة فتح اشبيليا ، ثم قام بفتح غرب الأندلس وانضم الى قيادة والده ..

(١) اخبار مجموعة ١٩ ، ونفح الطيب ١/٢٨١ ، وتاريخ افتتاح الاندلس ابن القوطية ٣٦، الاعلام ٤ / ١٥٤ ، ابن الاثير حوادث سنة ٩٧هـ ، بغية الملتمس ٣٧٣ ، جذوة المقتبس ٢٧١، الحلة السيراء ٣١ .

– ولاه أبوه امارة الاندلس عند عودته الى المشرق سنة ٩٥ هـ ، وافتتح في ولايته مدائن كثيرة مما كان قد بقي على أبيه موسى منها ، وكان من خير الولاة في الاندلس حيث ضبط سلطانها وضم نشرها وسد ثغورها ، لكن مدة ولايته لم تعمر طويلا .

– تزوج عبد العزيز بن موسى امرأة لذريق – رودريك – ويقال لها أم عاصم وكانت قد صالحت على نفسها وأموالها وقت الفتح ، وباءت بالجزية وأقامت على دينها في ظل نعمتها حتى تزوجها عبد العزيز ، فحظيت عنده ، ويقال انه سكن بها في كنيسة باشبيلية ، فقالت له : ان الملوك اذا لم يتتوجوا فلا ملك لهم ، فهل لك ان أعمل لك مما بقي عندي من الجوهر والذهب تاجاً ، فقال لها : ليس هذا في ديننا ، فقالت له : من أين يعرف أهل دينك ما أنت عليه في خلوتك ، فلم تزل به حتى فعل ، فبينا هو جالس معها والتاج عليه إذ دخلت امرأة كان قد تزوجها زياد بن النابغة التميمي من بنات ملوكهم فرأته والتاج على رأسه فقالت لزياد ألا أعمل لك تاجاً ، فقال ليس في ديننا استحلال لباسه ، فقالت فودين المسيح انه لعلى امامكم فأعلم بذلك زياد ، حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة ابن نافع ثم تحدثا به حتى علمه خيار الجند فلم تكن له همة إلا كشف ذلك حتى رآه عياناً ورآه أهله صدقاً فقالوا تنصر .

– ثم ان زوجة عبد العزيز قالت لزوجها : لم لا يسجد لك أهل مملكتك كما كان يسجد للذريق أهل مملكته ؟ فقال لها : ان هذا حرام في ديننا ، فلم تقتنع منه بذلك ، وفهم لكثرة شغفه بها ان عدم ذلك مما يزري بقدره عندها ، فاتخذ باباً صغيراً قبالة مجلسه يدخل عليه الناس منه فينحنون ، وأفهمها أن ذلك الفعل منهم تحية له ، فرضيت بذلك ، فنمي الخبر الى الجند فثارت ثائرتهم . واكتملت خيوط المؤامرة التي قادها حبيب بن أبي عبيدة الفهري وزياد بن النابغة التميمي . ولما أصبح عبد العزيز بن موسى وخرج الى المسجد وصار في

المحراب قرأ سورة الفاتحة ـ والواقعة، وعندها رفع القوم سيوفهم عليه وأخذوا رأسه وبعثوا به الى سليمان ، وكان ذلك بمسجد « ربينه » وبقي دمه في المحراب فترة طويلة ..

—★—

نهاية موسى بن نصير

١ - [تمادى موسى في سيره بأرض الاندلس مجاهداً حتى انتهى الى ارض تميد بأهلها فقال له جنده : الى اين تريد ان تذهب بنـــا ، حسبنا ما بأيدينا ، فرجع وقال ، لو اطعتموني لوصلت الى القسطنطينية ...] [١]

[واجمع موسى ان يأتي المشرق من ناحية القسطنطينية ويتجاوز الى الشام دروبه ودروب الاندلس ويخوض اليه ما بينهما من امم الاعاجم النصرانيـة مجاهداً فيهم مستلحماً لهم الى ان يلحق بدار الخلافـة . ونمي الخبر الى الوليـد فاشتد قلقه بمكان المسلمـين من دار الحرب ورأى ان ما هم به موسى غرر بالمسلمين فبعث اليه بالتوبيخ والانصراف ...] [٢] .

ـ كان الوليد حريصاً على حياة المسلمين ، مثله في ذلك مثل السواد الأعظم من خلفاء المسلمين وقادتهم ، وقد ظهر حرص الوليد منذ البداية عندما طلب من موسى بن نصير استطلاع الاندلس بالسرايا ، وعدم التغرير بالمسلمـين ، ثم عندما علم بما قاله موسى خلال فتوحاته ، فطلب اليه العودة الى دمشق ..

[لما فتح المسلمون الاندلس ، جاءهم رجل فقال : ابعثوا معي ادلكم على كنز ، فبعث معه فقال لهم انزحوا ها هنا فنزحوا فســـال عليهم من الياقوت والزبرجد ما أبهتهم فقالوا لا يصدقنا موسى فأرسلوا اليه فجاءه ونظر وقال الليث: ان كانت الطنفسة لتوجد منسوجة بقضبان الذهب تنظم السلسلة الذهب

---

(١) تاريخ الاسلام وطبقات المشاهير والاعلام ـ الذهبي ٤ - ٦٠

(٢) نفح الطيب ٢٣٤/١ ، الامامة والسياسة ٨٨/٢ .

باللؤلؤ والياقوت فكان البربريان ربما وجداها فلا يستطيعان حملها حتى يأتيا بالفأس فيقسمانها ...]

[... رجع موسى الى افريقية - بعد غزوته في الاندلس - وهو راكب على بغل اسمه كوكب وهو يجر الدنيا بين يديه جرا ، امر بالعجل تجر أوقار الذهب والجواهر والتيجان والثياب الفاخرة ومائدة سليمان .. ومعه مائة من رؤساء البربر ومائة وعشرين من الملوك واولادهم وقدم مصر في أبهة عظيمة ففرق الاموال ووصل الأشراف والعلماء ..]

- [لما قدم موسى توجه الى الوليد ... فلما جلس الوليد يوم الجمعة على المنبر اتى موسى وقد ألبس ثلاثين رجلاً التيجان على كل واحد تاج الملك وثيابه ودخل بهم المسجد في هيئة الملوك فلما رآهم الوليد بهت ثم حمد الله وشكر وهم وقوف تحت المنبر وأجاز موسى بجائزة عظيمة ..] (١) .

- كان ظهور موسى بهذا المظهر من الترف والبذخ ، مع ما حصل عليه من رصيد معنوي بين جماهير المسلمين كافياً لإثارة تخوف أمراء الأمويين وخلفائهم لا سيما وان عهدهم بتمرد الولاة وقادة الجيوش ممن حصلوا على أقل مما حصل عليه موسى قريباً ، ولعل ثورة عبد الرحمن بن الأشعث كانت ماثلة في الأذهان باقية في الذاكرة ، فأخذ مظهر موسى يحرك من القلق ما هو خافياً وأثار الوليد وسليمان من بعده حتى قال سليمان بن عبد الملك الى يزيد بن المهلب حين جاء يشفع لموسى عنده :

[... انه - يعني موسى - قد اشتعل رأسه بما تمكن له من الظهور وانقياد الجمهور والتحكم في الاموال والابشار ، مما لا يمحوه الا السيف ، ولكن قد وهبت لك دمه وأنا بعد ذلك غير رافع عنه العذاب حتى يرد ما غلّ من مال الله ..] (٢)

---

(١) تاريخ الاسلام ، الذهبي ٤ / ٦٢ .

(٢) نفح الطيب ١ / ٢٨٤ .

وقد تأكدت مخاوف الوليد وخلفاء الامويين من خلال تصرفات موسى السابقة .

ـ كانت افريقية عندما وصلها موسى في قحط شديد ، فخرج بالناس فاستسقى وأمر رجلاً يصلي بالناس وخطب فيهم ثم اخذ في الدعاء للوليد فأكثر فأرسل اليه موسى : « انا لم نأت لذلك فأقبل على ما قصدنا اليه وجلسنا من أجله » فلم يلتفت الى كلامه وتمادى في حاله رجاء ان يبلغ ذلك الوليد فينال عنده منزلة ، فأمر به موسى فسحب حتى أخرج من بين الناس ثم قام موسى فأخذ بالدعاء [1] .

ـ وكان عبد الله بن عبد الملك بن مروان أمير مصر قد كتب اليه رسالة يهدده فيها فكتب اليه موسى : [... أما بعد .. فقد قرأت كتابك وفهمت ما وصفت فيه من اركاني الى أبويك وعمك ، ولعمري ان كنت لذلك اهلا ولو خبرت مني ما خبرا لما صغرت مني ما عظما ولما جهلت من أمرنا ما علما فكيف أتاه الله لك . فأما انتقاصك لهما فهما لك وأنت منهما ولهما منك ناصر لو قال وجد عليك مقالاً وكفاك جزاء العاق . فأما ما نلت من عرضي فذلك موهوب لحق أمير المؤمنين لا لك . وأما تهددك إياي بأنك واضع مني ما رفعا فليس ذلك بيدك ولا إليك فارعد وابرق لغيري . وأما ما ذكرت مما كنت آتي به عمك عبد العزيز ، فلعمري اني ما نسبتني اليه من الكهانة لبعيد واني من غيرها من العلم لقريب فعلى رسلك فكأنك قد أظلك البدر الطالع والسيف القاطع والشهاب الساطع فقد تم لها وتمت له [2] ، ثم بعث اليك الأعرابي الجلف الجافي فلم نشعر به حتى يحل بعقوتك [3] فيسلبك سلطانك فلا يعود اليك ولا تعود اليه

---

(١) رياض النفوس ١ - ٧٨ .

(٢) الضمير للخلافة .

(٣) عقه : الشعر الذي يولد عليه كل مولود .

فيومئذ تعلم أكاهن أم عالم وتوقن أينا النادم السادم [1] والسلام ...] [2] .

ـ كان موسى بن نصير قوي الشخصية ، ثابت الارادة ، لا يسمح لمرؤوسيه بالتطاول والارتفاع الى المستوى الذي يضر بسمعته او يضعف من سلطته وسيطرته ، ومن هنا كان لا بد من حدوث صدام بينه وبين طارق بن زياد ، ومغيث الرومي الى جانب وجود خلاف آخر بين طارق ومغيث ويظهر ذلك من خلال الأحداث التالية :

[... عندما وجه موسى طارق لفتح الاندلس طلب اليه عدم التوغل في الفتوح والمغامرة بمن معه] [3] .

لكن مسيرة الاحداث واغراءات الفتح دفعت طارق الى اهمال توصية موسى والاندفاع شمالاً حتى طليطلة ... وعندما تجمعت القوى ضده وشعر طارق بتهديد خطوط مواصلاته واحتمال عزلته عن قاعدة عملياته في افريقية كتب الى موسى :

[... ان الامم تداعت علينا من كل ناحية.. فالغوث .. الغوث ..] [4].

فأسرع موسى بحشد قواته والانزال في الاندلس ومتابعة العمليات ، وكانت هذه المخالفة كافية لاثارة موسى وتحريك غضبه ..

ـ وكان موسى كقائد أعلى يدرك واجباته ومسؤولياته يضع حدوداً لتصرفات مرؤوسيه فعندما تم له فتح طليطلة ودخولها طالب طارق بتسليم ما حصل عليه من غنائم ومنها المائدة التي عرفها المؤرخون باسم «مائدة سليمان»

---

(١) السادم : النادم والحزين .

(٢) الولاة والقضاة ٦٠ .

(٣) الاعلام ٣ ـ ٣١٣ ، والبيان المغرب ١ ـ ٤٣ وتهذيب ابن عساكر ٧ ـ ٣٨ .

(٤) الامامة والسياسة ٢ ـ ٧٤ ، وتاريخ افتتاح الاندلس لابن القوطية ١٣٨ ، وتاريخ الاسلام للذهبي ٣ ـ ٣٢٤ .

والتي تضاربت في وصفها الأخبار والروايات ولعل أصدقها وأقربها الى الواقع هي قصة ابن حيان التي جاء فيها :

[... وهذه المائدة المنسوبة الى سليمان النبي عليه الصلاة والسلام لم تكن له فيما يزعم رواة العجم وانما اصلها ان العجم في ايام ملكهم كان اهل الحسنة منهم اذا مات احدهم اوصى بمال للكنائس فاذا اجتمع عندهم ذلك المال صاغوا منه الآلات الضخمة من الموائد والكراسي واشباهها من الذهب والفضة تحمل الشامسة والقسوس فوقها مصاحف الأناجيل اذا ابرزت في ايام المناسك ويضعونها على المذابح في الاعياد للمباهاة بزينتها ، فكانت تلك المائدة بطليطلة مما صيغ في هذا السبيل وتأنقت الأملاك في تلك الآلات وطار الذكر مطاره عنها وكانت مصوغة من خالص الذهب مرصعة بفاخر الدر والياقوت والزمرد ولم تر الأعين مثلها وبولغ في تفخيمها من اجل دار المملكة وانه لا ينبغي ان تكون بموضع آلة حجال أو متاع مباهاة الا دون ما يكون فيها ، وكانت توضع على منبح كنيسة طليطلة فأصابها المسلمون هناك وطار النبأ الفخم عنها ، وقد كان طارق ظن بموسى أميره مثل الذي فعل من غيرته على ما تهيأ لم ومطالبته له بتسليم ما في يده اليه ، فاستظهر بانتزاع رجل من أرجل هذه المائدة خبأها عنده فكان من فلجه به على موسى عدوه عند الخليفة اذ تنازعا عنده بعد الأثر في جهادهما ما هو مشهور . وقال بعض المؤرخين ان المائدة كانت مصنوعة من الذهب والفضة وكان عليها طوق لؤلؤ وطوق ياقوت وطوق زمرد ، وكلها مكللة بالجواهر ...] [1] .

– أما الخلاف بين موسى ومغيث فيظهر من الحادثة التالية :

[... كان مغيث يدل بمكان ولائه من الخلافة فبعث اليه موسى : هات

---

(٣) نفح الطيب ١ – ٢٧٢ .

العلج ، فقال : والله لا تأخذه وأنا أقدم به على الخليفة فهجم عليه فنزعه منه ، فقيل له ان سرت به حياً قال مغيث أنا أصبته ولكن اضرب عنقه ففعل ثم مضى حتى قدم على الوليد] [1] .

وكان مغيث الرومي يطمح الى ولاية الاندلس وكان يعترض طموحه وجود موسى بن نصير وطارق بن زياد ، ولهذا أضمر في نفسه الحقد عليهما وأخذ في العمل لازاحتهما عن طريق هدفه .

[... ويبدو أن مغيثاً كان حانقاً في نفسه او لأنه ساءه ان ينسب فضل الفتح كله الى نفسه مغفلاً بيان ما قام هو وما قام به طارق ، فلم يأل جهداً في تنقيص موسى وتشويه سمعته ، فكان لكلامه اسوأ الأثر على مصير موسى فيما بعد ...] [2] .

عاد موسى الى دمشق ، وقبل ان يصلها بلغه ان الوليد في آخر رمق له ، ووصله من لقيه في الطريق من قبل سليمان بن عبد الملك ومعه كتاب يطلب فيه الى موسى التريث والانتظار ريثما تنتهي حياة الوليد ويتولى سليمان الخلافة فيكون شرف فتح الاندلس مقترناً بقدوم عهده . فكان جواب موسى بن نصير حاسماً حيث قال عن سليمان :

[.. خنت والله وغدرت وما وفيت ...] .

ثم أبلغ موفد سليمان بقوله :

[... والله لا تربصت ولا تأخرت ولا تعجلت ولكني اسير بمسيري فان وافيته حياً لم اتخلف عنه وان عجلت منيته فامره الى الله] [3] .

وتابع موسى تقدمه فوصل دمشق في حياة الوليد ، وأسلمه الخمس ، ووجد موسى ان الوليد غاضب منه بعد ان سبقته وشاية طارق ومغيث ضده وتأكدت

....

(١) اخبار مجموعة ١٩ ، وتاريخ الاسلام للذهبي ٤ - ٥٨

(٢) فجر الاندلس ١٠١ وتاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس ١٠٠

(٣) نفح الطيب ١ - ٢٨٠

للوليد صحة الشكوى ضد موسى عندما اخرج له طارق « قائمة المائدة » ، ولم يمكث الوليد بعد ذلك سوى اربعين يوماً حيث توفي وانتهت الخلافة الى سليمان ابن عبد الملك الذي كان حانقاً على موسى .. ففرض عليـه من الأموال ما ينوء عن حمله .. [واغرمه غرماً عظيماً حتى سأل العرب . فيقال ان لخماً حملت عنه في اعطائها سبعين ألفاً ذهباً ...] [1] .

– كان موسى بن نصير قريباً الى نفس يزيد بن المهلب أثيراً لديه ، وكان يزيد ابن المهلب وزيراً لسليمان بن عبـــد الملك ، فتوسط يزيد بن المهلب لدى سليمان وشفع له وكفله ، كما تدخل في هذه الوساطة عمر بن عبد العزيز ممـا خفف من حقد سليمان ضد موسى ، وفي هـــذه الفترة الحرجة من الضيق جلس يزيد بن المهلب الى ابن نصير وقال له :

[اريد ان اسألك فاصغ الي] .. فقال موسى : [سل عمـا بدا لك ..]

فقال : [لم ازل اسمع عنك انك من اعقـــل الناس واعرفهم بمكايد الحروب ومداراة الدنيا . فقل لي كيف حصلت في يدي هـذا الرجل ، بعدما ملكت الاندلس ، وألقيت بينك وبين هؤلاء البحار الزخار ، وتيقنت بعـد المرام واستصعابه واستخلصت بلاداً انت اخترعتها واستملكت رجالا لا يعرفون غير خيرك وشرك وحصل في يدك من الذخائر والأموال والمعاقل والرجال ما لو اظهرت به الامتناع ما ألقيت عنقك في يد من لا يرحمك ، ثم انك علمت ان سليمان ولي عهد ، وانه المولى بعد اخيه وقد اشرف على الهلاك لا محـالة ، وبعد ذلك خالفته وألقيت بيدك الى التهلكة وأحقدت مالكك ومملوكك – ويقصد بذلك سليمان وطارق ومغيث – وما رضى هذا الرجل الا بعيـد ولكن لا آلو جهداً ..] فأجابه موسى :

[.. يا ابن الكرام .. ليس هذا وقت تعديد .. اما سمعت اذا جـاء الحين

---

(١) نفح الطيب يجعلها تسعين الفاً ١ – ٢٨٠ ويجعلها المقري تسعين الفاً .

غطى على العين ..] فقال يزيد : [ما قصدت بما قلت لك تعديداً وتبكيتاً ، وانما قصدت تلقيح العقل وتنبيه الرأي وأن أرى ما عندك !.. فقال موسى : اما رأيت الهدهد يرى الماء تحت الارض عن بعد ، ويقع في الفخ وهو بمرأى عينه] [1] . ثم كلم فيه سليمان فكان من جوابه : (انه قد اشتمل رأسه بما تمكن له من الظهور وانقياد الجمهور والتحكم في الأموال والأبشار على ما لا يمحوه الا السيف ولكن قد وهبت لك دمه وانا بعد ذلك غير رافع عنه العذاب حتي يرد ما غل من مال الله) .

وعاد يزيد بن المهلب الى موسى .. وأخذ في الحديث معه وقال له :

[يا ابا عبد الرحمن في كم تعتد من مواليك وأهل بيتك ؟ فقال له موسى : « في كثير . فقال يزيد .. يكونون الفاً .. فقال له موسى : والفاً والفاً الى منقطع النفس . فقال له يزيد : وانت على ما وصفت والقيت بنفسك الى التهلكة ؟ افلا اقمت في قرار عزك وموضع سلطانك وامتنعت بما قدمت به ؟ فان أعطيت الرضى والا كنت على عزك وسلطانك . فقال له : والله لو اردت ذلك لما نالوا من اطرافي طرفاً .. ولكني آثرت الله ورسوله .. ولم نر الخروج عن الطاعة والجماعة [2]]..

– وامكن بعد ذلك تسوية الخلاف لصالح موسى بن نصير الذي اخذ يتردد على مجلس الخليفة سليمان . وسأل سليمان بن عبد الملك يوماً موسى فقال له :

(.. أي الأمم كانوا أشد قتالاً ؟..) فقال موسى : (انهم يا أمير المؤمنين أكثر مما أصفهم) فقال له : أخبرني عن الروم . فقال : أسود في حصونهم ، عقبان على خيولهم ، نساء في مواكبهم ، ان رأوا فرصة افترصوها ، وان خافوا غلبة فأوعال ترقد في اجبال ، لا يرون عاراً في هزيمة تكون لهم منجاة) .

---

(١) نفح الطيب ١/٢٨٤

(٢)البيان المغرب ١ - ٤٢ و ٢ - ٢٥

فقال سليمان : (فأخبرني عن البربر) فأجابه موسى : (هم يا أمير المؤمنين أشبه العجم بالعرب: لقاء ونجدة وصبراً وفروسية وسماحة وبادية غير أنهم يا أمير المؤمنين غدر) . قال : (فأخبرني عن الاشبان) « الاسبان » ، فقال (ملوك مترفون وفرسان لا يجبنون) . فقال : فأخبرني عن الافرنج .. فأجاب موسى: (هناك يا أمير المؤمنين العدد والعدة والجلد والشدة وبين ذلك أمم كثيرة ومنهم العزيز ومنهم الذليل وكلا قد لقيت بشكله فمنهم المصالح ومنهم المحارب المقهور والعزيز البذوخ ..) فقال : (فأخبرني كيف كانت الحروب بينك وبينهم ، أكانت عقباً) بمعنى تناوب بين ونصر وهزيمة ، فأجاب موسى : (يا أمير المؤمنين ، ما هزمت لي راية قط ،ولا فض لي جمع ، ولا نكب المسلمون معي نكبة منذ اقتحمت الأربعين الى ان شارفت الثمانين) . قال سليمان: (فأين الراية التي حملتها يوم « مرج راهط » مع الضحاك ، فأجابه موسى فوراً : تلك يا أمير المؤمنين زبيرية وانما عنيت المروانية ، فقال سليمان : صدقت ، وأعجبه قوله .

وفي يوم آخر جلس الخليفة سليمان بن عبد الملك الى موسى بن نصير وسأله :

(ما الذي كنت تفزع اليه في مكان حربك من أمور عدوك ؟) فاجاب موسى : (.. التوكل والدعاء الى الله يا أمير المؤمنين) . وسأل الخليفة من جديد : (هل كنت تمتنع في الحصون والخنادق أو كنت تخندق حولك ؟) وأجاب موسى : (.. كل هذا لم أفعله ... كنت أنزل السهل ، واستشعر الخوف والصبر ، وأتحصن بالسيف والمغفر ، وأستعين بالله وارغب اليه في النصر ...) [1]

– ودخل موسى على سليمان يوماً وعنده الناس فلما رآه سليمان قال: (..ذهب سلطان الشيخ) وأبصره موسى حين تكلم فلم يفهم قال : (يا أمير المؤمنين !

---

(١) الامامة والسياسة ٢ – ١٠٠

رأيتك لما نظرتني داخلا تكلمت بكلام ظننتك عنيتني به) ، قال سليمان (نعم، قلت ذهب سلطان الشيخ ..) فقال له موسى: (... أما والله لئن ذهب سلطان الشيخ ، لقد أثر الله به في دينه أثراً حسناً ، ولقد كنت طويل الجهاد في الله ، حريصاً على اظهار دين الله حتى أظهره الله ، وكنت ممن أتم الله به موعده لنبيه ولئن أدبر معك لقد كان مع آبائك ناضر الغصن ، ميمون الطائر..) فقال سليمان: هو ذاك ؟ فقال موسى : (هو ذاك ..) فلم يزل يرددها سليمان ويرددها موسى حتى سكت سليمان ..

- في السنة التالية لوصول موسى الى دمشق - أي في عام ٩٧ هـ - قتل عبد العزيز بن موسى في الاندلس وحمل رأسه الى دمشق حيث ألقي بين يدي الخليفة سليمان ، فأرسل سليمان الى موسى ، فلما حضر ورأى رأس ابنه وقف وحمد الله ثم قال : (هذا رأس عبد العزيز بين يديك يا أمير المؤمنين فرحمة الله تعالى عليه ، فلعمر الله ما علمته نهاره إلا صواماً وليله إلا قواماً شديد الرأفة بمن وليه من المسلمين ...) [١] .

غضب سليمان لمقتل عبد العزيز بن موسى وشق ذلك عليه ، فولى افريقية عبد الله بن يزيد، وكان أمر الاندلس وطنجة وولايتها تابعة لافريقية ، وأمره سليمان فيما فعله حبيب بن أبي عبيدة وزياد بن النابغة من قتل عبد العزيز بان يتشدد في ذلك ، ثم مات سليمان فسرح عبدالله بن يزيد والي افريقية على الاندلس الحر بن عبد الله الثقفي وأمره بالنظر في شأن قتل عبد العزيز فلم يستقر بالحر القرار حتى ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة ، فعزل عبد الله بن يزيد عن افريقية وولاها سهيل بن عبد الله مولى بني مخزوم وولى السمح بن مالك الخولاني الاندلس .. [٢] .

---

(١) الامامة والسياسة ٢ - ٩٧

(٢) اخبار مجموعة ٢٢ .

- في عام ٩٧ هـ ، حج سليمان ، ومعه موسى بن نصير ، وبينا كان يسير يوماً إذ دعا سليمان بموسى ، فدعاه أحد رجال سليمان ، وكان موسى يساير رجلا فلم يلتفت موسى الى ندائه ، ثم دعا به سليمان ، فناداه ذلك الرجل ايضاً ، فلم يلتفت اليه ، فقال له الرجل : (غفر الله لك ! ألم تسمع دعاء أمير المؤمنين ؟.. إني اخافه وأخاف أن يغضب).فقال موسى: (ذاك لو كان عبد الملك أو الوليد، فاما هذا فانه يرضيه ما يرضي الصبي ويسخطه ما يسخطه وسترى ذلك ..) ثم تقدم موسى حتى لحق ولصق بسليمان،فقال له : (أين كنت يا ابن نصير؟..) فقال له : (.. يا أمير المؤمنين ، أين دوابنا من دوابك ، اني لمنذ دعاني أمير المؤمنين لفي كد حتى لحقت أمير المؤمنين ..) فضحك سليمان وأمر له بثلاثين نجيباً موقورة جهازاً وبحجرة من حجره وجائزة .. وسايره وحادثه ثم انصرف عنه .. فلحق الرجل اليه فقال له موسى (كيف رأيت ؟) فقال : (.. أنت كنت به أعلم ..) [1] .

- وفي أم القرى ، توفي موسى بن نصير ، وأغمض عينيه ، فصلى عليه مسلمة ابن عبد الملك ، ودفن هناك [*] ..

—★—

....

(١) الإمامة والسياسة ٢ - ١٠١

(*) ملاحظة : هناك روايات متناقضة يدحض بعضها بعضا حول نهاية موسى بن نصير ، وسوء معاملته ، وما لقيه في ايامه الاخيرة ، واحيانا يضم المصدر الواحد من التناقضات الكثيرة ما هو مثير للشكوك في صحة روايات هذه المراجع والمصادر ، وقد تم الاخذ هنا بأكثرها صحة وتوافقا مع تحليل شخصيات الخلفاء الامويين - الوليد وسليمان - والظروف التاريخية التي وقعت فيها تلك الاحداث ، واتساق الاحداث بعضها مع بعض بشكل تستقيم فيه المعلومات على اكبر قدر من الصحة ..

قراءات

مصير أولاد غيطشة بعد الحروب ...

وصل طارق بفتوحه حتى طليطلة ، وأسهم أولاد غيطشة بأعمال الفتح ، وعندما انتهت المرحلة الأولى اجتمعوا بطارق وقالوا له [١] :

(أنت أمير نفسك أم فوقك أمير ؟ فقال بل على رأسي أمير وفوق ذلك الأمير أمير عظيم ...) فاستأذنوه باللحاق بموسى بن نصير بافريقية ليؤكد سببهم به ، وسألوه الكتاب اليه بشأنهم معه وما أعطاهم من عهده ففعل وساروا نحو موسى فتلقوه في انحداره الى الاندلس بالقرب من بلاد البربر وعرفوه بشأنهم ، ووقف على ما خاطبه به طارق في ذمتهم وسابقتهم ، فأنفذهم الى أمير المؤمنين الوليد بالشام بدمشق وكتب اليه بما عرفهم به طارق من جميل أثرهم ، فلما وصلوا الى الوليد أكرمهم وأنفذ لهم عهد طارق في ضياع والدهم وعقد لكل واحد منهم سجلا وجعل لهم أن لا يقوموا لداخل عليهم ، فقدموا الأندلس وحازوا ضياع والدهم أجمع واقتسموها على موافقة منهم فصار منها لكبيرهم « ألمند »[٢] ألف ضيعة في غرب الأندلس فسكن من أجلها اشبيلية مقترباً منها . وصار « لأرطباش »[٣] ألف ضيعة ، وهو تلوه في السن وضياعه في موسطة الأندلس فسكن من أجلها قرطبة. وصار لثالثهم « وقله »[٤] ألف ضيعة في شرق الأندلس وجهة الثغر ، فسكن من أجلها مدينة طليطلة ، فكانوا على هذه الحال صدر

....

(١) نفح الطيب ، ١ - ٢٦٥ - ٢٦٦

(٢) ألمند : Olmundo .

(٣) ارطباش : Ardabast .

(٤) وقله ، تعريب اخيلا Aquila .

الدولة العربية الى أن هلك ألمند ـ كبيرهم ـ وتخلف ابنته سارة المعروفة بالقوطية وابنين صغيرين ، فبسط يده أرطباش على ضياعهم وضمها الى ضياعه ، وذلك في خلافة أمـــير المؤمنين هشام بن عبد الملك ، فأنشأت سارة بنت ألمند مركباً باشبيلية حصيناً كامل العدة ، وركبت فيه مع أخويها الصغيرين تريد الشام حتى نزلت بعسقلان من ساحلها ثم قصدت باب الخليفة هشـام بداره بدمشق فأنهت خبرها وشكت ظلامتها من عمها واستعدت عليه ، واحتجت بالعهد المنعقد لأبيها وأخويه على الخليفة الوليد بن عبد الملك فأوصلها هشام الى نفسه وأعجبه صورتها وحزمها ، وكتب الى حنظلة بن صفوان عامله بافريقية بانصافها من عمها أرطباش وإمضائها وأخويها على سنة الميراث فيما كان في يد والدها مما قاسم فيه أخويه ، فأنفذ لها الكتاب بذلك الى عامله بالأندلس أبي الخطار ـ ابن عمه ـ فتم لها ذلك. وأنكحها الخليفة هشام من عيسى بن مزاحم فابتنى بها بالشام ثم قدم بهـا إلى الأندلس وقام لها في دفاع عمها أرطباش عن ضياعها فنال بها نعمة عظيمة وولد له منها ولداه ابراهيم واسحاق فأدركا الشرف المؤثل والرياسة باشبيلية وشهرا ونسلهما بالنسبة الى أمهما سارة القوطية .

وكانت أيام وفادتها على الخليفة هشام رأت عنـــده حفيده عبد الرحمن بن معاوية – الداخل بعد الى الأندلس – وعرفها ، فتوسلت بذلك اليه لمـــا ملك الأندلس ووفدت اليـه ، فاعترف بذمامها وأكرمها وأذن لهـا في الدخول الى قصره متى جاءت الى قرطبة فيجدد تكرمتها ولا يحجب عياله عنهـا ، وتوفي زوجها عيسى في السنة التي ملك فيها عبد الرحمن الأندلس ، فزوجها عبدالرحمن من عمير بن سعيد .

– وكان لها ولأبيها ألمند وعمها أرطباش في صدر الدولة العربيـــة بالأندلس أخبار ملوكية : فمنها ما حكاه الفقيه محمد بن عمر بن لبابة المالكي انه قصـــد أرطباش يوماً الى منزله عشرة من رؤساء رجـال الشاميين فيهم الصميل وابن

الطفيل وأبو عبده وغيرهم فأجلسهم على الكراسي وبالغ في تكريمهم ودخل على أثرهم ميمون العابد جد بني حزم وكان في عداد الشاميين إلا أنه كان شديد الانقباض عنهم لزهده وورعه ، فلما بصر بـــه أرطباش قام اليه دونهم اعظاماً ورقاه الى كرسيـــه الذي كان يجلس عليه وكان ملبساً صفائح الذهب وجذبه ليجلسه مكانه ، فامتنع عليه ميمون وقعد على الأرض ، فقعـد أرطباش معـه عليها وأقبل عليه قبلهم ، فقال له يا سيدي ، ما الذي جاء بك الى مثلي ؟ فقال له : ما تسمعه ، انا قدمنا الى هذا البلد غزاة نحسب أن مقامنا فيه لا يطول فلم نستعد للمقام ولا كثرنا من العده، ثم حدث بعدنا على موالينا وفي أجنادنا ما قد أيسنا معه من الرجوع الى أوطاننا ، وقد وسع الله عليك ، فأحب أن تدفع إلي ضياعاً من ضياعك أعتمرها بيدي ، وأؤدي اليك الحق منها وآخـذ الفضل لي طيباً أتعيش منه ، فقال : لا أرضى لك بالمساهمة ، بل أهب لك هبة مسوغة ، ثم دعا بوكيل له فقال له : سلم إليه المجشر « المرعى » الذي لنا على وادي شوش بما لنا فيه من العبيد والدواب والبقر وغير ذلك،وادفع اليه الضيعة التي بجيان ، فتسلم ميمون الضيعتين وورثها ولده وإليهم نسبت قلعة حزم ، فشكره ميمون وأثنى عليه وقام عنه . وقد أنف الصميل من قيامه اليه ، فأقبـل على أرطباش وقال له : كنت أظنك أرجح وزناً ، أدخلُ عليك وأنا سيد العرب بالأندلس في أصحابي هؤلاء وهم سادة الموالي فلا تزيدنا من الكرامة على الإقعاد على أعوادك هذه ، ويدخل هذا الصعلوك فتصير من اكرامه الى حيث صرت ؟.. فقال له : يا أبا جوشن ، ان أهل دينك يخبروننا أن أدبهم لم يرهفك ، ولو كان لم تنكر علي ما فعلته ، انكم اكرمكم الله انما تكرمون لدنياكم وسلطانكم وهـــذا انما أكرمته لله تعالى ، فقد روينا عن المسيح ، عليه السلام ، انه قال : من أكرمه الله تعالى من عباده بالطاعة له وجبت كرامته على خلقه ، فكأنما ألقمه حجراً،

وكان الصميل أمياً ، فلذلك عرض به ، فقال له القوم : دعنا من هـذا ، وانظر فيما قصدنا له فحاجتنا حاجة الرجل الذي قصدك فاكرمته فانظر في شأننـا ، فقال له : أنتم ملوك الناس ، وليس يرضيكم إلا الكثير ، وها أنا أهب لكم مائة ضيعة تقتسمونها عشراً عشراً وكتب لهم بها وأمر وكلاءه بتسليمها اليهم ، فكان القوم يرونها من أطيب أملاكهم [1] .

***

(١) نفح الطيب ١ / ٢٦٧ - ٢٦٨

القسم الثالث

الفصل الثالث

الفتوح في عهد الولاة

١ ـ فرنسا « بلاد الغال » عند فتح العرب للأندلس .
٢ ـ يوم التروية .
٣ ـ مأساة عنبسة بن سحيم الكلبي .
٤ ـ معركة بواتييه ... بلاط الشهداء .
٥ ـ معركة بواتييه في التاريخ .
٦ ـ المحور الخامس، والقاعدة المتقدمة في ايطاليا وسويسرا وجنوب فرنسا .
٧ ـ حول عمليات المحور البحري .

قراءات

ـ السمح بن مالك الخولاني .
ـ عنبسة بن سحيم الكلبي .
ـ عبد الرحمن الغافقي .

الفتوح في عهـــد الولاة

٩٦ - ١٣٨ هـ = ٧١٤ - ٧٥٥ م

تعاقب على حكم الاندلس ما بين عامي ٩٦ هـ ، حيث ولاية عبد العزيز بن موسى بن نصير و ١٣٨ هـ ، حيث استقر الحكم لبني أمية عدد من الولاة وصل عددهم الى عشرين واليـاً ، طالت ولاية بعضهم سنوات عديدة واقتصرت ولاية البعض الآخر على شهور قليلة ، وقد حاول بعض هؤلاء الولاة متابعة الفتوح في في بلاد غاليا « فرنسا » فاصطدمت محاولاتهم بمقاومات عنيفة وحدثت معارك حاسمة . أما في المجال الداخلي فقد تميز عهـد الولاة بالاستقرار ، والتركيز على بناء المجتمع واقامة علاقات عامة جديدة [١] .

- كانت اسبانيا عند الفتح تمتـد الى ما وراء جبـــل البرتات او البرانس « البيرنيه » فكان يتبعها من أرض فرنسا مقاطعة روسيون ،وهي المقاطعة المسماة اليوم بالبيرنيـه الشرقية [٢] وقسم من اللانغدوك [٣] بالاضافـــة الى قسم من البروفانس [٤] ، وقد توغل موسى بن نصير في هجومه الاول على محور واحـد هو محور « ندبون حتى ليون » تاركاً لخلفائـه من بعده متابعة التقـدم على المحاور الأخرى ..

---

(١) يمكن مطالعة تسلسل حكم الامراء في الجداول الملحقه .

(٢) روسيون Rousillon استولت عليهـا فرنسا سنة ١٦٥٩م وقاعدتها بربينيان Perpignan

(٣) اللانغدوك Languedoc ، وهي المقاطعة الواقعة الى الشمال من روسيون وقاعدتها تولوز، وكان استيلاء فرنسا عليها عام ١٢٧١م .

(٤) البروفانس Provence ، في جنوب فرنسا تضم جبال الألب السفلى ومصب نهر الرون وبلاد الفال والفوكلوز .

– تركز الجهد في عهد الولاة على محاولات فتح ما وراء جبل البيرنيه ، وقد جوب العرب المسلمون التوغل على محاور مختلفة لكن الفشل كان من نصيب هذه التجارب التي لم تحقق نتائج هامة ولهذا يمكن اعتبارها عمليات وقائية – دفاعية أكثر منها عمليات هجومية . وكان الولاة هم الذين يقودون هذه العمليات بانفسهم نظراً لما كانت تتميز به من أهمية . وبرز من خلال أعمال القتال أسماء عدد من القادة الذين قضوا فوق أرض « غاليا » فرنسا وسطروا ملاحم رائعة ..

– احتلت معارك عهد الولاة وفتوحاتهم فيما وراء « البيرنيه » أهمية خاصة عند الغربيين ، وتعرضت للتحليل والنقد ورسمت هالة حولها وبصورة خاصة منها معركة « بلاط الشهداء » ، بينما لم يعط المؤرخون العرب لها من الأهمية اكثر مما تستحقه على اعتبار أنها ، مماثلة لغيرها من المعارك الكثيرة التي قادها العرب المسلمون في عهد الفتوحات والتي رافقتها الانتكاسات والانتصارات ، وكانت الدروس التي أفاد العرب من الانتكاسات والانتصارات على مستوى واحد من الأهمية ..

١ – فرنسا « الغال » عند فتح العرب للاندلس ..

– كانت فرنسا عندما فتح العرب الأندلس تحت حكم الافرنج « الميروفنجيون » وان معرفة شكل الحكم فيها يفرض بالضرورة العودة الى نهاية القرن الخامس حيث كانت غاليا مقسمة الى ست مناطق كبرى ، ففي الشمال كانت مملكة الافرنج ، وفي الشمال الشرقي الآلامان ، وفي الجنوب الشرقي مملكة بورغونيا ، وفي الجنوب الغربي الفيزغوطيون أو القوط الغربيون ، وحول لوتيس « باريس » كانت المملكة الغالية الرومانية ويحكمها الملك سياجر يوس الذي كان يحافظ على شكل من أشكال الوحدة مع الشعوب المتحدة مع الرومان ، أما في غرب فرنسا فكان « البريتون » ثم فصمت عرى الوحدة مع الامبراطورية الرومانية عام ٤٠٧ م .

- كانت مملكة الافرنج « الميروفنجيون » من أقوى هذه الممالك ، فقد بدأ مؤسس هذه المملكة « ميروفي »[1] ٤٤٨ - ٤٥٧ م بقيادة الفرنج لمجابهة الهون في حقول كاتالونيه وأسهم في دحر الهون وأعطى اسمه للأسرة المالكة «الميروفنجية التي حكمت بلاد الغال » « فرنسه القديمة » حتى ٧٥١ م .

وقد جاء كلوفيس الأول[2] ٤٨١ - ٥١١ م حفيـــد ميروفي فانتصر على سياغريوس ملك المملكة الغالية - الرومانية في معركة سواسون ٤٨٦ م وعلى الآلامان قرب تولونيـه ٤٩٦ م وعلى البورغونديين قرب ديجون ٥٠٠ م وعلى الفيزيقوط في فوييه ٥٠٧ م ، وأسس المملكية الفرنجية وأصبح ملكاً أوحـداً لبلاد الغال بعد مقتل زعماء كولونيه الفرنج وزعماء كامبري وتيروان .. وقـد جعل كلوفيس من مدينة « باريس » عاصمة له ..

- لم تلبث هذه المملكة القوية ان قسمت الى اربعـــة ممالك حكمها ورثة كلوفيس وهم : تييري و كلودومير وشيلدبير و كلوتير ، وبقي الأمر كذلك حتى جاء داغوبير ٦٢٨ - ٦٣٨ م فاعاد توحيد المملكة ، لكن الآلامان والبريتون والاكيتانيون أعلنوا استقلالهم بعد ممات داغوبير .

- لم يكن خلفاء الملك داغوبير على مستوى الحكم ، فولوا شؤون الدولة الى وزراء القصر ، ولم يبق لهم من الحكم شيئاً حتى عرفوا باسم « الملوك الكسالى» ونتيجـــة لذلك نشأت في كل ممالك الافرنج « أسر متوازية » تتنازع مركز الصدارة ، فوزير قصر مملكة « اوسترازيه » - بيبان الهيريستالي - دحر جيش نوسترازيه في تريستري ، وأعاد تنظيم المملكة لزمن ما ، وشارل مارتـل ابن بيبان أخضع مملكة نوسترازيه ، ومقاطعة أليتانيه وهزم البافاريين والساكسون والآلامان .. ثم ورث شارل مارتل ابن بيبان بمجمـــل مملكة الافرنج وقام

---

(١) ميروفي Mérovée

(٢) كلوفيس الأول Clovis-1

بمحاصرة ديديه ملك اللومبارديين في بافيه واغتصب منه التاج ، واصبح ملك الافرنج واللومبارديين ودفع حدود مملكته حتى نهر « غاريغليانو » في ايطاليا، كما أوصل حدود مملكته فيما وراء الراين حتى وصل « الايلب » ، وقد جاء « بيبان الحاسم » ابن شارل مارتل ، فجمع « الأوفياء » [1] في سواسون وجعلهم ينتخبونه ملكاً وقد باركه البابا اتيان الثاني عام ٧٥٤ م ، وهكذا خلفت « أسرة الكارولنجيين » في حكم فرنسا اسرة « الميروفيين » او الافرنج ، واستمر حكم الكارولنجيين طوال الفترة بين ٧٥١ - ٩٨٧ م . [2]

- اكتسب الافرنج « الميروفنجيون » ومن بعدهم « الكارولنجيون » خبرات واسعة في مجال الحرب ، نتيجة لصراعهم المستمر مع خصومهم في الداخل والخارج ، وعندما جاء شارل مارتل ، طور اساليب القتال فحصن شواطىء الأطلسي وبحر المانش وبحر الشمال اتقاء لكل هجمات مباغتة وقاد حملات ضد الساكسون طوال ثلاثين عاماً من حكمه ، وأدخل شارل مارتل تطورات جديدة على « الفالانج » القديم فجعله كثير العمق حتى اصبح كالجدار الصلب الذي لا يمكن اختراقه ، كما اعتمد على سلاح الفرسان فزاد من قوته وعدده ، وقد عمل على استبدال نظام النفرة الجماعية بتجنيد شامل في البلاد ، لا يقتصر تعبئة المناطق المهددة فقط ، مما وفر امكانات بشرية ضخمة للحرب ..

—★—

(١) الأوفياء - تروست - Truste قوة دائمة - هي نواة الجيش الذي ينضم اليه المتطوعون والمستنفرون اثناء الحروب .

(٢) تاريخ جيوش العالم ، ترجمة يوسف يازجي ، الفصل الثالث عشر المجلة العسكرية ، العدد ٩ - السنة الرابعة والعشرين .

٢ - يوم الترويه

١٠٢ هـ = ٧٢٠ م

الوضع العام :

في عام ٩٦ هـ ، وبعد مقتل عبد العزيز بن موسى بن نصير ، ولي الاندلس ايوب بن حبيب اللخمي ، ابن اخت موسى بن نصير ، وذلك بعد ان اجتمعت كلمة اهل اشبيليا على توليته ، لكن فترة ولايته لم تدم اكثر من ستة اشهر حيث تولى حكم الاندلس من قبل الامويين ، الحر بن عبد الرحمن الثقفي ، وقد استمر الحر في ولاية الاندلس سنتين وثمانية اشهر ، وانصرف الحر بن عبد الرحمن الثقفي لبناء الاندلس وتنظيم أموره واقامة الحاميات في الثغور .

في عام ٩٩ هـ ، تولى الخلافة في دمشق الخليفة عمر بن عبد العزيز وقد اظهر اهتماماً خاصاً بالاندلس ، ففكر في تعيين وال لها مستقل عن افريقية واختار لذلك السمح بن مالك الخولاني[1] ، فوصل السمح الى الاندلس عام

....

(١) جاء في اخبار مجموعة ، ص ٢٣ حول تعيين السمح بن مالك الخولاني :

(... كان في الخلفاء اذا جاءتهم جبايات الامصار والآفاق يأتيهم مع كل جباية عشرة رجال من وجوه الناس واجنادها فلا يدخل بيت المال من الجباية دينار ولا درهم الا أخذ بحقه وحتى يحلف الوفد بالله الذي لا اله الا هو ما فيها دينار ولا درهم الا من فضل اعطيات أهل البلد من المقاتلة والذرية ، والا بعد أن أخذ كل ذي حق حقه ، فأتى وفد افريقية بخراجها وذلك انها لم تكن يومئذ ثغراً فكان ما فضل بعد أعطيات الاجناد وفرائض الناس ينقل الى الخليفة، فلما وفدوا بخراج افريقية في زمان سليمان ، أمروا أن يحلفوا فحلف الثمانية ونكل سهيل بن عبيد الله مولى بنى مخزوم ونكل بنكوله السمح بن مالك الخولاني فأعجب ذلك عمر بن عبد العزيز من فعلهما ثم ضمهما الى نفسه ، فلما ولي عمر ، ولى سهيل افريقية وولى السمح بن مالك الاندلس وأمره أن يخمس أرضها وعقارها ويقر القرى في يدي غنامها بعد أن يأخذ الخمس وأن يكتب اليه بصفة الاندلس وانهارها وكان رأيه انتقال اهلها منها لانقطاعهم عن المسلمين .. فقدمها السمح .. فوضع يداً في السؤال عن العنوة ليميزه عن الصلح وفي اخراج البعوث ، وبني قنطرة قرطبة ..)

« نفح الطيب ٣/١٤ ، وأخبار مجموعه ٢٣» .

١٠٠ هـ - ٧١٨ م فانصرف الى البناء الداخلي وتنظيم المجتمع واقامة العلاقـات الجديدة ، وعندما شعر ان البناء الداخلي قد اصبح على درجة كافيـــة من القوة توجه الى متابعة اعمال الفتوح .

ناربون « أربونه » قاعدة الانطلاق [١]

- في نهاية عام ١٠١ هـ ، ٧١٨ هـ - انطلق السمح بن مالك الى الشمال يقود جيش المسلمين واخترق جبال البيرنيه ، ووصل « ناربون » وكان الفرنج قد استعادوها خلال فترة الاضطراب التي أعقبت مقتل عبد العزيز بن موسى ، فنظم حصارها ،

---

(١) أربونة Narbonne ، كانت أربونة بمجاورتها للبحر وسهولة الوصول اليها بالسفن من اسبانيا . ثم بمنعتها الطبيعية من جهة البر تصلح أن تكون مسلحة للعرب في ارض الافرنـج ، فزاد السمح Zama ، في تحكيم حصونها ووضع الحاميات في المدن المجاورة لها وبذلك تمكـن العرب من صد غارة شارل مارتل الذي حاصر أربونة عام ٧٣٢ م بعد أن هـزم العرب في معركة بواتيه ، ثم ان بيبان القصير ، ابن وزير القصر « شارل مارتل » والذي عاش تقريباً بين ٧٢٥-٧٦٨م وكان دوق نوسترية وبورغونية والبروفاسن عام ٧٤١م مع أخيه، شارلمان ، نودي به ملكاً على الفرنج عام ٧٥١ م بموافقة البابا زكريا .

- وقد فكر بيبان هذا بفتح اربونة وانتزاعها من العرب المسلمين ، لكنه نكص عنها ولـم يتمكن منها سوى شارلمان سنة ٧٥٩ م ، وذلك بعد أن حاصرها مدة سبع سنوات ، وقـد أدى هذا الحصار إلى ثورة الاهالي الذين ملوا الحصار فاندفعوا الى ذبح الحامية العربية ، ثم عـاد العرب سنة ٧٩٢ م ، فحاصروا أربونة ، فبعث شارلمان لنجدتها بعثاً عدته عشرون الف مقاتل عقد لواءه للفارس المشهور غليوم، وتلاقى الجمعان بقرب أربونة، فاستأصل العرب جيش الافرنج ولم يبق من هؤلاء الا غليوم وثلاثة عشر من رفاقه ، وصلم أنف غليوم في المعركة ولقب من ذلك اليوم بذي الانف القصير Guillaume Au Court Nez لكن العرب لـم يتمكنوا من فتحها رغم هذا النصر حتى جاء هشام بن عبد الرحمن الداخل فأعاد فتحها غام ٧٥٧م .
تاريخ غزوات العرب ، ارسلان ، ٦٥ ، تاريخ جيوش العالم ، العدد ٩ ، السنة الرابعـة والعشرون ، المجلة العسكرية .

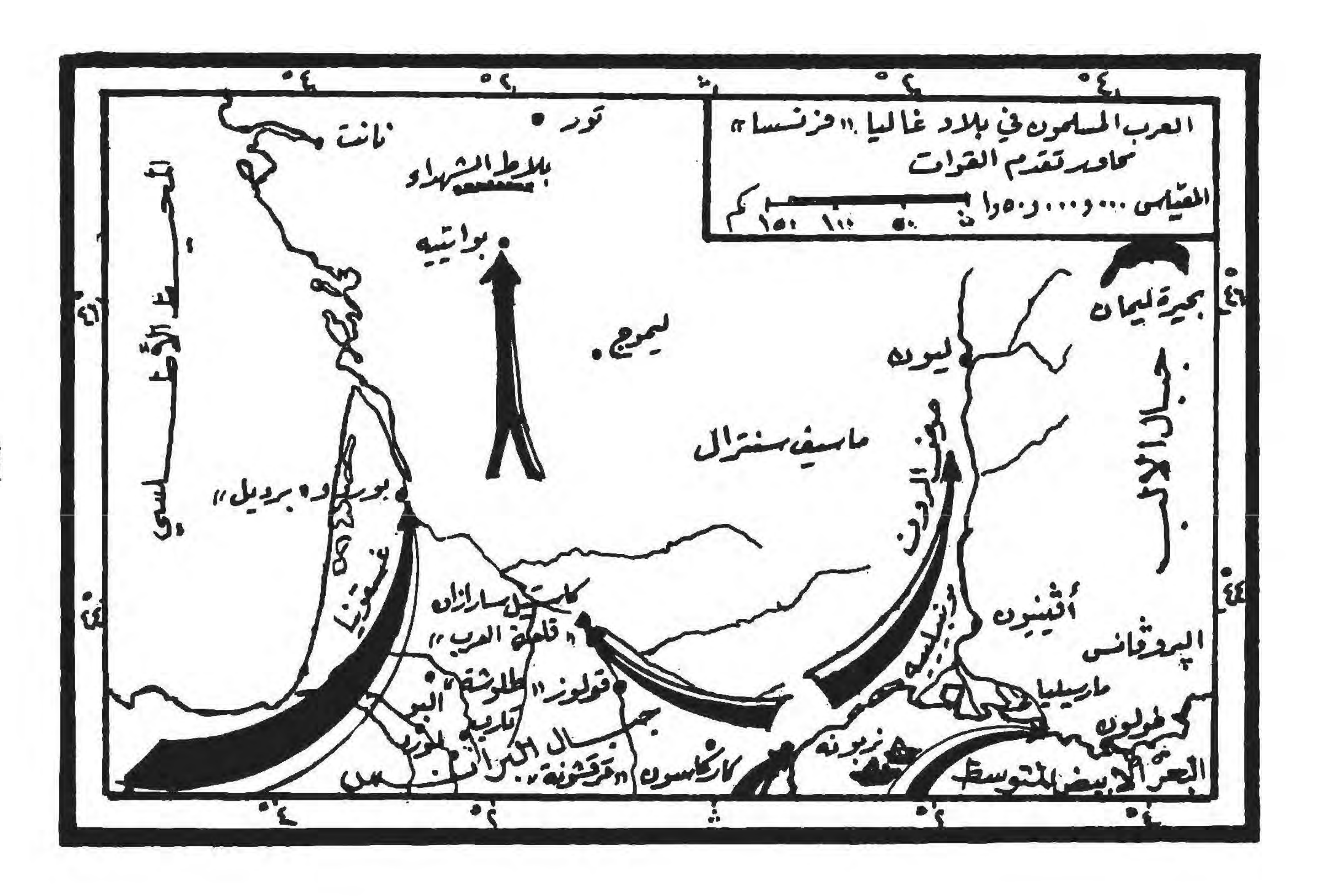
واستمر في تشديد قبضة الحصار طوال ثمانية وعشرين يوماً حتى خضعت له ، وقدر السمح اهمية ناربون كقاعدة لانطلاق الهجوم داخل بلاد الغال ، فركز جهده من اجـل تحصين المدينة وتقوية الدفاع عنهـا وجعلها مستودعاً للمواد التموينية والاعتدة الضرورية واصبح بامكانه بعـــد ذلك التوغل في هجومه الى العمق ..

محور جديد للعمليات « وادي غارون » ..

لم يتابع السمح بن مالك تقدمه نحو المحور السابق الذي سلكــه موسى بن نصير وطارق بن زياد ،وانما اختار محوراً جديداً لعملياته هو محور « تارن ـ و ـ غارون » فتوجه نحو الشمال الغربي واوغل في تقدمه حتى وصل تولوز « طلوشه » بعد ان اخضع سبتمانيا و بروفانس .

ـ توقف السمح بن مالك امام « تولوز » وحاصرها ، فصمدت المدينة ثـم اسرع دوق اكيتانيا لإنقاذ مدينته ، وزج قواتـــه في معركة حاسمة قاتل فيها المسلمون بعناد لكن قوات اكيتانيا تفوقت عليها وانتهى يوم ٩ حزيران ٧٢١م ـ ذي الحجة ١٠٢ هـ بمقتل السمح بن مالك وتمزق جيشـه فتولى عبد الرحمن الغافقي مهمة حماية الانسحاب ، وتراجع جيش المسلمين حتى قاعدة الانطلاق « اربونة » وسميت المعركة باسم « يوم التروية » او « معركة التروية » وكان السبب الرئيسي للهزيمة هو تفوق قوات الافرنج تفوقاً ساحقـــاً على جيش العرب المسلمـين .

—★—



العرب المسلمون في بلاد غاليا «فرنسا»
محاور تقدم القوات
تور
نانت
بلاط الشهداء
بواتييه
ليموج
ليون
ماسيف سنترال
بحيرة ليمان
جبال الألب
وادي الرون
أفينيون
البروفانس
مارسيليا
طولون
البحر الأبيض المتوسط
ناربونه
كاركاسون «قرقشونة»
جبال البرانس
تولوز
قلعة العرب
المحيط الأطلسي
بوردو «برديل»

مأساة « عنبسه بن سحيم الكلبي»

ـ تولى عبد الرحمن الغافقي أمر حماية الانسحاب بعد مقتل السمح بن مالك ونظراً لعدم تعيين والي للأندلس فقد تولى عبد الرحمن الولاية لفترة شهرين ريثما وصل الوالي الجديد عنبسة بن سحيم الكلبي في عام ١٠٣ هـ — ٧٢١ م .

ـ أمضى عنبسة السنوات الاولى من حكمه في ترسيخ دعائم المسلمين في الأندلس والاستعداد للقتال ، والحرب ودعم الثغور وفي عام ١٠٧ هـ — ٧٢٥م توجه عنبسه بقوة ثمانية آلاف مقاتل حتى وصل القاعدة المتقدمة « ناربون » .

ـ قام عنبسة بدراسة المنطقة خلال توقفه في « ناربون » وقرر التوجه بقواته في محور جديد ، فاستولى مرة اخرى على اقليم سبتمانيا ثم توجه الى حوض الرون وتابع تقدمه في اقليم « برغنديا » فاستولى على مدينة « قرقشونه » وانطلق منها شمالاً فاحتل ماكون ، وشالون وتذكر بعض المصادر ان عنبسه وصل في تقدمه حتى سانس على بعد ثلاثين كيلو متراً من « باريز » — .

ـ شعر عنبسه أن توغله بعيداً عن قاعدة انطلاقه لا يتناسب مع حجم قوته فقرر العودة ، والتوقف عن متابعة الفتوح ، وفي طريق العودة تصدت له مقاومات الفرنج ثم التحم معهم في معركة حاسمه اصيب خلالها بجراح قاتلة توفي على اثرها في شعبان ١٠٧ هـ ـ ٧٢٥ م ، وكانت مدة ولايته اربع سنوات ونيف .



٤ – معركة بواتييه « بلاط الشهداء »

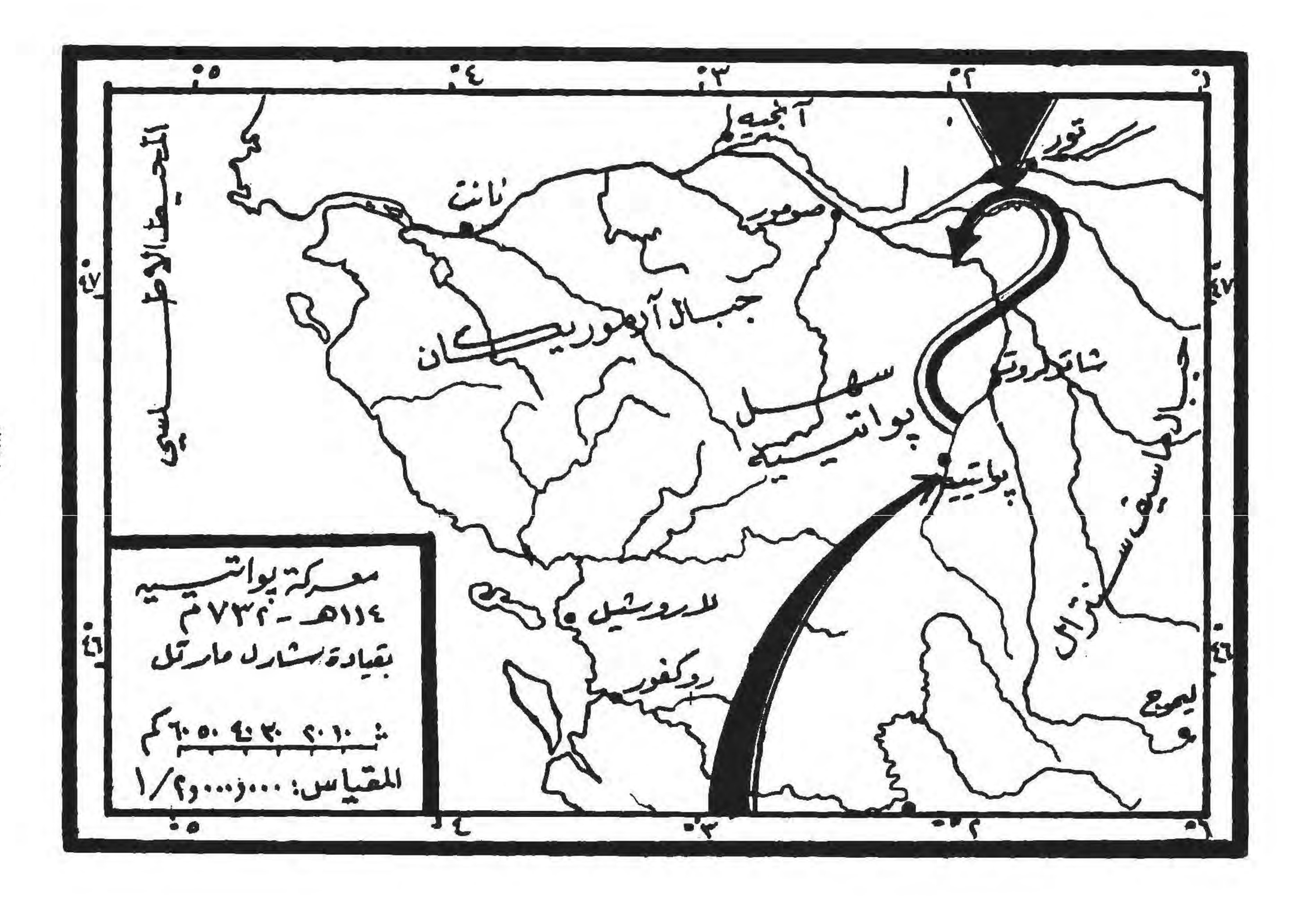
رمضان ١١٤ هـ = ١٧ تشرين الأول - اكتوبر ٧٣٢ م

جدول توقيت الاحداث

السنة الهجرية	السنة الميلادية	الاحداث
١٠٧ هـ	٧٢٥ م	**مقتل عنبسة بن سحيم الكلبي في فرنسا .**
١٠٨ هـ	٧٢٦ م	غزو اسد بن عبد الله الختل والغور في خراسان وغزو مسلمة بن عبد الملك الروم وفتح قيسارية ومجموعة حصون .
١٠٩ هـ	٧٢٧ م	ظهور دعاة بني العباس في خراسان وتصاعد قوتهم .
١١٤ هـ	٧٣٢ م	**موقعة « بلاط الشهداء » ومقتل عبد الرحمن الغافقي .**
١١٥ هـ	٧٣٣ م	وقوع طاعون بالشام وقحط شديد في خراسان.
١١٧ هـ	٧٣٥ م	حدوث حركات تمرد في خراسان وافريقية .
١٢٥ هـ	٧٤٢ م	وفاة هشام بن عبد الملك وبيعة الوليد بن يزيد ابن عبد الملك .
١٢٦ هـ	٧٤٣ م	اضطراب أمر بني أمية وتمرد حمص وفلسطين .

السنة الهجرية	السنة الميلادية	الاحـــداث
١٢٧ هـ	٧٤٤ م	بيعة مروان بن محمد بن مروان ، وتمرد حمص والشـام .
١٢٧ هـ	٧٤٤ م	تمرد الأندلس وخلع أبي الخطار .
١٢٩ هـ	٧٤٦ م	تعاقد خراسان على نصرة أبو مسلم الخراساني .
١٣٠ هـ	٧٤٧ م	دخول أبو مسلم مرو ، وهروب نصر بن سيار والي الأمويين .
١٣١ هـ	٧٤٨ م	موت نصر بن سيار ومسير قحطبة الى ابن هبيرة في العراق .
١٣٢ هـ	٧٤٩ م	قيام الدولة العباسية ومقتل مروان بن محمد ابن مروان بن الحكم .
١٣٨ هـ	٧٥٥ م	دخول عبد الرحمن الأندلس ..

—★—


معركة بواتييه
١١٤هـ - ٧٣٢م
بقيادة شارل مارتل
١٠ ٢٠ ٣٠ ٤٠ ٥٠ ٦٠ كم
المقياس: ١/٢٠٠٠٠٠٠
المحيط الأطلسي
نانت
آنجيه
تور
صومور
جبال آرموريكان
سهل بواتييه
بواتييه
شاتلرو
جبال ماسيف سنترال
ليموج
لاروشيل
روكفور

معركة بواتييه

الوضع العام :

تعاقب على حكم الاندلس بعد مقتل عنبسه بن سحيم الكلبي ستة من الولاة واذا استثنينا منهم يحيى بن سلمة الكلبي الذي تجاوزت مدة ولايته السنتين فإن البقية لم تتجاوز مدة ولايتهم الأشهر القليلة مما لم يسمح لهؤلاء الولاة بوضع مخططات لاستئناف اعمال الغزو في فرنسا وبقي الأمر كذلك حتى تم تعيين عبد الرحمن الغافقي للمرة الثانية ، فركز جهده لتحقيق الاستقرار وحشد الطاقات ـ وغزا الافرنج فكانت له فيهم وقائع جمه، وكانت هذه الغزوات الاستطلاعيه ذات هدف وقائي ـ دفاعي ، ومن اجل جمع المعلومات الكافية .

ـ وفي الوقت ذاته كان « شارل مارتل » من الأسرة الكارولنجيه يعيد تنظيم قواته ويعمل على توسيع حدود مملكته .

ـ عندما عرف عبد الرحمن الغافقي انه انهى اصلاح الادارة واعاد تنظيم الجيش انطلق بجيشه الذي لم يتجاوز ثمانية آلاف مقاتل .

طبيعة ميدان المعركة :[١]

ـ اختار عبد الرحمن الغافقي محوراً جديداً لعملياته عبر « اقليم غرب فرنسا » وعلى محور اكيتانيا، سهل تور » وتقسم الطبيعة الجغرافيه للاقليم الى اقسام اربعة .

١ ـ اقليم غرب فرنسا ، « الغال » وهو مكون من برزخ من الأراضي الحديثة التكوين بين الكتل الجبلية القديمة « في بريتانيا وليموزين » وهي تشكل اقليماً من السهول المتموجة التي تخترقها خطوط المواصلات بين حوض

(١) أطلس القرن العشرين Atlas. Du XX Siecle .

باريس وحوض اكيتانيا عبر سهول «بواتييه» الخصبة والغنية بمواردها الزراعية كالحبوب والذرة والاخشاب ونظراً لوقوع بواتييه في وسط هذا السهل فقد احتلت اهمية كبرى عبر التاريخ كمحور للعبور وكمركز للصراع بين قوى العالم القديم .

٢ ـ اما حوض اكيتانيا فيقع بين جبال البيرنيه والمحيط الأطلسي والجبال المركزية « ماسين سنترال » وهذا السهل لا يأخذ شكل تقعر كما هو حوض باريس وانما يأخذ شكل مسطح محدب ينفتح بصورة واسعة في اتجاه المحيط ويخترقه نهر الغارون ومناخ هذا السهل رطب وبارد وموارده الزراعية تحتل المرتبة الأولى في موارد الاقليم وتكثر فيه الغابات ومن اشهر المراكز الحضارية العريقة في هذا الاقليم مدينتي : برديل « بوردو » وطلوشه « تواوز » ..

٣ ـ **سلسلة جبال البيرنيه** : وهي كتلة من الجبال الحديثة تمتد بين المتوسط والمحيط الاطلسي بصورة عرضانيه فتشكل حاجزاً طبيعياً منيعاً بين الاندلس ، وفرنسا وترتفع جبال البيرنيه حتى ٣٠٠٠ ثلاثة آلاف متر ، وهي مرتفعة وحادة في اتجاه فرنسا مشكلة منحدرات كلسية تخترقها الأودية القائمة وتعتبر الممرات الشرقية والغربية هي محاور الاتصال الطبيعية بين فرنسا واسبانيا .

٤ ـ **وادي الرون** : ينفتح كطريق واسع بين اوروبا البحر الابيض المتوسط واوروبا الشمالية وتسيطر عليه من الشمال الهضاب الكلسية ، وتحده جبال الألب شرقاً وجبال الكتلة المركزية غرباً ، ويضم الوادي سهولاً زراعية لها مناخ حوض البحر الابيض المتوسط ، وقد أصبحت ليون ، عقدة مواصلات للطرق الجبلية المخترقة للألب ، نتيجة لوقوعها في وسط السهل ، ويمتد هذا السهل بشكل طولاني مواز لأحواض بواتييه واكيتانيا الواقعة الى غربها ..

التقدم في اتجاه « تور » :

– جعل عبد الرحمن الغافقي من « بامبلونا »[1] قاعدة له ، وحشد فيها قواته وذلك في صيف ١١٤ هـ – ٧٣٢ م ، ثم اخترق بقواته سلسلة جبال البيرنيه من منطقة « باب – شزروا » ، ممرات رونسيسفال[2] ، ثم توجه الى بورديل « بوردو » على نهر الغارون ، وذلك قبل التقاء الغارون بنهر « دوردونيا » في منطقة غير بعيدة عن مصبه ، وهناك التقى « بدوق اكيتانيا » اودو حيث دارت معركة قصيرة وحاسمة انتصر فيها عبد الرحمن الغافقي على خصمه ، ودخل مدينة بوردو ، بعد ذلك ، فنهبها جنده وحصلوا على غنائم كبيرة أثقلت الجيش وأخذت تعيق تحركه وأفقدته مرونته[3] .

– تابع عبد الرحمن تقدمه في اتجاه « تور » دون أن يلتقي بمقاومات تذكر .

– لجأ دوق اكيتانيا الى « شارل مارتل » طالباً دعمه لمجابهة تقدم العرب المسلمين فأسرع شارل مارتل الى حشد قواته وتوجه بها نحو تور فوصلها قبل وصول عبد الرحمن اليها ثم تابع زحفه جنوباً حيث التقى بطلائع المسلمين وقواتهم المتقدمة عند طريق روماني قديم يبعد مسافة عشرين كيلو متراً الى الشمال الشرقي من بواتييه .

– اصطدمت قوات العرب المسلمين بقوات الافرنج وكان شارل مارتل قد نظم قواته على شكل فالانج عميق [... **فكان قوم الشمال كالجدار الساكن المتجلد** ...][4] الذي لم تؤثر فيه سهام العرب أو مزاريقهم وهكذا لم يتمكن عبد الرحمن الغافقي من احراز نصر حاسم ، منذ بداية المعركة ، واستمرت

---

(١) بنبلونة: Pam - Peluna

(٢) باب شزروا : Roncesvalles

(٣) كان محور مسير عبد الرحمن هو بيغور Bigorre وبيارن Bearn ، تارب Tarb وآير Aire وبازاس Basas واوليرون Oleron .

(٤) تاريخ جيوش العالم ٩ / السنة ٢٤ المجلة العسكرية .

أعمال القتال ستة أيام دون تحقيق نصر لصالح طرف من الطرفين المتحاربين .

– وفي اليوم السابع لبداية القتال ، أعاد عبد الرحمن الغافقي تنظيم قواته وانطلق بهجوم قوي حاسم ونجح في احراز بعض النجاح وتحطمت قوة المشاة « الفالانج » وبدأت بواكير النصر تلوح في الأفق ، وفي هذه اللحظة الحاسمة حدثت المأساة ..

كان شارل مارتل، قد دفع قوة فرسانه للقيام بحركة التفاف عميقة ونجحت قوة الفرسان في الوصول الىمؤخرة جيش العرب المسلمين . وكان ظهور « فرسان الافرنج » مباغتاً مما أوقع الفزع في قلب المقاتلين وبصورة خاصة أولئك الذين خافوا على غنائمهم من الضياع فتركوا مواقعهم وأسرعوا الى منطقة الشؤون الادارية لحمايتها والحفاظ على الغنائم ، وأفاد مشاة « الفرنج » فانطلقوا بهجوم مضاد ، وتصدى عبد الرحمن الغافقي للهجوم وحاول ايقاف زحف « الافرنج» واعادة تنظيم قواته ، لكن سهماً أصابه فوقع أرضاً وسقط في المعركة وانطلق جند الفرنج يدمرون خصومهم فسقط آلاف القتلى في ساحة المعركة التي حملت اسم [**بلاط الشهداء**] ..

– عرف شارل مارتل كيف يستثمر ظفره ، فأعاد تنظيم قواته وانطلق مباشرة لمطاردة فلول القوات المنسحبة ووصل في هذه المطاردة حتى « أربونة » في سفوح جبال البيرنيه ، وقد تمكنت الحامية المدافعة عن المدينة من ايقاف تقدم « شارل مارتل » وردعه عن متابعة التقدم ، وتذكر بعض المصادر العربية أن شارل مارتل لم ينجح في اصابة جيش المسلمين أثناء انسحابه نظراً لانسحاب فلول الجيش تحت جنح الظلام في ليلة المعركة ذاتها مما فوت الفرصة على شارل مارتل وأعاقه عن تحقيق هدفه في تدمير جيش المسلمين وابادته ابادة تامة [1] .

(١) نفح الطيب ٣/١٥ ، تاريخ جيوش العالم ٩/ السنة ٢٤ من المجلة العسكرية الغزوات الاسلامية ، دراسات في تاريخ الاندلس وحضارتها ٢٨ ، تاريخ الاسلام ، الدكتور حسن ابراهيم حسن ١/٣٢٠ .

كما تذكر بعض المصادر أن شارل مارتل لم يطارد فلول القوات المنسحبة مباشرة خشية ان يكون ذلك خطة مدبرة .

٥ ـ معركة بواتييه في التاريخ :

هناك تناقض كبير واختلاف واسع في تقييم معركة « بلاط الشهداء » ونتائجها بين المؤرخين قديمهم وحديثهم على حد سواء .

فبينما نجد مؤرخي العرب ، كابن الأثير ، والمقري ، وابن خلدون واضرابهم يذكرون احداث هذه المعركة بايجاز وبخطوطها العامة ، مثلها في ذلك مثل جميع المعارك التي خاضها العرب المسلمون .. نجد أن مؤرخو الغرب بصورة خاصة اعتبروها من معارك التاريخ الحاسمة التي أحاطت قائدها ، شارل مارتل، بهالة كبيرة من التمجيد الذي يصل حتى درجة « التقديس » ..

وقد حذا المؤرخون المحدثون حذو القدامى ، فاعتبرها بعضهم من معارك التاريخ الحاسمة على اعتبار انها أوقفت تقدم المد العربي ـ الاسلامي في بلاد « الافرنج » ، بينما يعتبرها البعض الآخر مماثلة لغيرها في مقدمتها ومسيرتها ونتائجها .

ولكل من الطرفين ـ في الواقع ـ مبرراته ووجهات نظره ، وقد يكون كل طرف من الطرفين مخطئاً في تحليله لهذه الحادثة التاريخية وذلك لأنه يفصلها عن اطارها العام وعن مسيرة الأحداث التالية ..

ولإيضاح ذلك ، يفضل العودة الى الجدول الزمني لمسيرة الاحداث وطرح المعطيات التالية :

١ ـ ان معركة « بلاط الشهداء » وما رافقها من هزيمة لا تختلف عن هزيمة عقبة بن نافع ومقتله في « تهوذه » او مأساة ابو عبيد الثقفي في يوم النهر او مقتل مصقلة بن هبيرة في فارس او غيرها من المعارك الفاشلة الكثيرة التي رافقت فتوح العرب المسلمين ، وقد تمرس العرب المسلمين بالقتال

وفن الحرب فلم تعد الهزيمة تصيبهم باليأس ولم يعد النصر يصيبهم بالغرور واكتسبوا مناعة ضد الانفعالات الطارئة واصبح تقييمهم للنصر والهزيمة موضوعياً ،ولهذا فان معالجتهم لها وكتابتهم عنها اتصفت بالوضوح والايجاز والذكر كحادثة تاريخية فقط تتوافق مع غيرها سواء بسواء ، وان مراجعة معارك افريقية الشمالية وحدها وما رافقها من انتصارات وهزائم كاف لايضاح هذه الحقيقة ، كما ان معاودة محاولات غزو فرنسا بعد وقوع مجموعة من الانتكاسات ومقتل عدد من الولاة وكبار القادة يثبت هذه الحقيقة ذاتها .

٢ ـ لقد اصيبت الدولة الأموية ، بعد معركة بلاط الشهداء ، بعدد من النكبات والمصاعب حاولت الصمود لها ومجابهتها ، فقد كانت الحرب مع بيزنطة مستمرة وفي تصاعد مما تطلب تكريس جهد خاص لمجابهة خطر الشمال. وفي الجبهة الشرقية كانت أعمال التمرد في خراسان مستمرة ، ثم اضيف الى ذلك ظهور ـ دعاة بني العباس ـ واستفحال أمرهم مما فرض تكريس جهد آخر اضافي وكان هذا المسرح يحتل المرتبة الأولى في سلم الأفضليات بسبب اتصال خراسان وفارس البري ومتاخمتها لحدود دولة الشام . وإذا أضيف الى ذلك ، متطلبات الجهد البحري وأعمال الغزو في بحر الشام « البحر الابيض المتوسط » يظهر بوضوح عجز الدولة عن دعم الاندلس بجهد اضافي لمتابعة الفتوحات عبر اوروبا ، بداية من مجابهة بلاد الغال « فرنسا » . .

٣ ـ وحدثت خلال الفترة أوبئة ،كالطاعون في الشام سنة ١٠٩ هـ و١١٥هـ و١٢٧ هـ ـ والمجاعة والقحط في فارس ، مما اعاق الدولة الاموية عن دعم قواتها في الجبهات المختلفة ، ويجب ان يضاف الى ذلك الجهد الذي تطلبه قمع حركات التمرد في الاقاليم المختلفة علاوة على الجهد الذي استنزفته الانقسامات الداخلية والخلافات بين افراد الاسرة الاموية ذاتها ، مما جعل الدولة في حالة عجز عن دعم جبهة الاندلس بالقوات ودفعها لمتابعة الفتوح ومجابهة « الافرنج » في بلاد الغال . ـ

٤ – وجاء بعد ذلك انهيار دولة بني أمية في الشام ، ثم استقلال الاندلس عن الدولة العباسية وقيام الحكم الاموي ليضعف من القدرة القتاليـــة لدولة « الامويين » ، ويضع حداً حاسماً للتوسع في شمال الأندلس .

– لقد كانت وحدة الدولة – في زمن بني أمية – من العوامـل الأساسية في حشد الطاقات البشرية الضخمة ، والتوسع في أعمال الفتوح على مختلف الجبهات ومجابهة التحديات بتحديات أكبر ، وعندما فصمت عرى « وحـــدة الدولة الاسلامية » لم يعد لدى الأمويين في الاندلس من طاقات يستطيعون بهـا القيام بأعمال الفتوح على نحو ما كانوا يمارسونه خلال حكمهم في الشام ..

٥ – وعلى الرغم من هزيمة « معركة بلاط الشهداء » فان المسلمين لم يتوقفوا عن متابعة الفتوح والقيام بعمليات محدودة تتناسب وامكاناتهم . فقد أقدم يوسف بن عبد الرحمن حاكم « اربونة » في عام ١١٦ هـ – ٧٣٤ م وبعد الهزيمة بسنتين فقط ، اقـــدم على التوغل في حوض الرون واحتل آرل [١] ، وابينيون [٢] وتجاوزهما في اتجاه الشمال ، وقام البحارة المسلمون بالسيطرة على اقليم « البروفانس » متبعين في ذلك محوراً جديداً للغزو واستمر حكمهم لمنطقة البروفانس مائة عام تقريباً ٢٧٧ – ٣٦٥ هـ – ٨٩٠ – ٩٧٥ م ، وهذا برهان على ان فكرة التوسع لم تتوقف نتيجة لهزيمة « بلاط الشهداء » وانما توقفت بسبب « القصور في الامكانات الذاتية وضعف الطاقة البشرية . –

٦ – اكتسب شارل « مارتل » شهرته ، كواحـــد من مؤسسي الأسرة الكارولنجية لا بسبب انتصاره على العرب المسلمين في معركة « بلاط الشهداء » وإنما بسبب الانتصارات المتتالية والمعارك الكثيرة التي خاضها وأخضع مملكة

....

(١) آرل : Arles
(٢) ابينيون : Avignon

نوسترازيه ومقاطعة اكيتانية وهزم البافاريين والساكسون والآلامان وانتصر على لومبارديا وضمها الى مملكته وقاد جيوشه طوال ثلاثين عاماً ضد الساكسون كما قاتل السلافيين والأفار ووحد مملكة الكارولنجيين . وبذلك اكتسب شهرته الواسعة ..

- ان ما سبق ذكره هو بعض الشواهد التي يمكن وضعها لاجراء تقييم صحيح ، لنتائج معركة بلاط الشهداء - .

- ويمكن القول ان معركة بلاط الشهداء لا تختلف عن معركة يوم التروية او توغل عنبسة بن سحيم الكلبي او حتى توغل موسى بن نصير وطارق ابن زياد في وادي الرون ، والاختلاف الوحيد هو ان اطارها الزمني يختلف بعض الشيء ، نظراً لما اصاب الدولة الاموية بعدها بحيث لم يعد باستطاعتها دعم فكرة متابعة الفتوح ولهذا فان تاريخ ١١٤ هـ - ٧٣٢ م هو مجرد تسجيل لأقصى ما وصله العرب المسلمون في بلاد غاليا ولا يحمل معنى أعمق من ذلك .

٦ - المحور الخامس
والقاعدة المتقدمة في ايطاليا وسويسرا وجنوب فرنسا

بقي هناك محور خامس ، وهو محور التقدم البحري الى جنوب فرنسا ، ولقد جاء التحرك عن طريق هذا المحور متأخراً ، وتم بواسطته تكوين قاعدة متقدمة أسهمت الى حد كبير في تخفيف الضغط عن الاندلس وحمل عبء في الدفاع عنها .. ويمكن ايجاز ظهور هذه القاعدة حتى زوالها بما يلي :

	السنة الهجرية	السنة الميلادية	الاحداث
١	٢٧٦	٨٨٩	كان حاكم اقليمي بروفانس ودوفيني خلال هذه الفترة غير خاضع للأسرة الكارولنجية ، وكان يحكمها أمير اسمه « بوزون »[١] أطلق على نفسه اسم « ملك آرل » . وكان موقفه ضعيفاً بسبب قربه من الأندلس جنوباً ومناهضة الدولة الكارولنجية له شمالاً .
٢	٢٧٨	٨٩١	قذفت أمواج البحر الابيض المتوسط زورقاً صغيراً إلى عين الطيب « آنتيب » ونزل من هذا الزورق عشرون ملاحاً عربياً في خليج « غريماد »[٢] المعروف باسم « سانت تروبيز »[٣] وتسلل هؤلاء بعيداً عن كل رقابة عبر الغابات وأمكن لهم التسلق صعداً في سلسلة الجبال الواقعة الى شمال الخليج وأمكن لهم العثور على موضع جيد تتوفر فيه الميزات التالية : ١ – القرب من البحر – حيث الامداد – والاتصال بقاعدة الاندلس . ٢ – السهول والقرى المحيطة، حيث الوسط المحيط الملائم للغزو والتعايش والاستقرار

(١) بوزون : Boson .
(٢) غريماد : Grimad .
(٣) سانت تروبيز : Saint - Tropes .

الأحداث	السنة الميلادية	السنة الهجرية	
ومحاور الاتصال بين الغرب والشرق « ايطاليا وفرنسا » وبين شمال اوروبا وجنوبها .. ٣ – غابات « الألب » ومسالكها الوعرة مع ما تقدمه من وسائل طبيعية للدفاع ضد التهديدات الخارجية .. وبدأ هؤلاء فوراً في العمل على إنشاء قاعدة قوية أطلقوا عليها اسم فريكسيناتوم[1] وأرسلوا الى الاندلس وافريقية طالبين الانضمام اليهم ودعمهم ..			
وصلت قوة جديدة من العرب المسلمين – من الأندلس وافريقية – وانضمت الى القوة السابقة وتابعت بناء الحصون التي أطلق على مجموعها اسم فراكسينيت ، وأخذ هؤلاء في التوسع ، ونظراً لشدة بأس هؤلاء المقاتلين فقد أخذ السكان وأمراء المقاطعات يستعينون بهم بعضهم على	٨٩٢	٢٧٩	٣

(١) فريكسيناتوم : Fraxinetum . وهو اسم مشتق من شجر الدردار ، ويظهر ان شجر الدردار كان منتشراً في عهد فتح العرب المسلمين لها ويعتقد ان فريكسيناتوم هذه في موقع « غارد فرينيه الحالي Garde - Frainet » في سفح جبل الالب حيث تحيط بهـا غابة « المور » او « العرب » ، وقـد شيد العرب مجموعة من القلاع اطلق على كل واحد منها اسم « Fraxinet » لكن « الفراكسينيت » الأول على ما يعتقده بعض علماء الآثار هو ذلك القائم على انقاض مدينة رومانية اسمها « فراكسينيت » وان الحصن العربي لم يكن له من الطول اكثر من ثلاثمائة قدم ولا يتسع لأكثر من مائة مقاتل تحيط به الخنادق ، مما يدل على ان هذه المواقـع كانت مخافر مراقبة ومراكز مقاومة لا اكثر أنشئت بهدف دفاعي ، وان الفراكسينيت الاول المشار اليه يقع في ذروة جبل يحمل اليوم اسم سيدة ميرامار Notre Dame de Miramar

	السنة الهجرية	السنة الميلادية	الاحداث
			بعض وقد انضم اليهم اعداد من المغامرين فقوي بذلك أمرهم وارتفع شأنهم.. ووصلوا في توسعهم حتى قمم الألب وسيطروا على أقاليم دوفيني وسافوا وبيجونت . – أفاد العرب المسلمون خلال هذه الفترة من التناقضات والأوضاع الداخلية لفرض سلطانهم على الأقاليم التي سيطروا عليها . – فقد أصبحت مملكة آرل تحت حكم لويس ابن بوزون ، وكان لويس هذا قد سار بجيشه الى ايطاليا لقتال بيرانجه ملك ايطالية ، فترك بلاده خالية من الحاميات القوية .. – وتعرضت فرنسا لغزو النورمان والسلاف في الشمال وقد استطاع هؤلاء توجيه تهديد خطير للدولة الكارولنجية حتى كادوا يطرقون أبواب باريس في احدى مراحل تقدمهم .
٤	٢٩٦	٩٠٨	– قامت قوة من العرب ـ المسلمين بالانزال من جديد عند سواحل « لنغدوك » قرب ايغمورط .
٥	٢٩٩	٩١١	أصبحت سيطرة العرب المسلمين كاملة على محاور المرور وطرق المواصلات ومضائق جبال

	السنة الهجرية	السنة الميلادية	الاحداث
			الألب ، ولم يكن باستطاعة أحد المرور دون التعرض لخطر مجابهة قوة العرب المسلمين .
٦	٣٠٠	٩ ٢	**تولى حكم الاندلس ، عبد الرحمن « الثالث» وامكن له توحيد قوة الاندلس في قبضته ، وتحالف حنشو غرسيه ملك نابار وأردونه ملك ليون والثائر ابن حفصون .**
٧	٣٠٨	٩٢٠	وجه عبد الرحمن جيشاً كبيراً بقيادة عمه (عبد الرحمن) تجاوز جبال البيرنيه واكتسح قسماً من غسكونيا حتى وصل قريباً من تولوز ، وفي الوقت ذاته عملت قوة العرب المسلمين في القاعدة المتقدمة على تصعيد عملياتها مما حمل الأغنياء ، ورجال الكنيسة على استثارة القوى المختلفة وحشدها في قوة واحدة ضد العرب المسلمين .
٨	٣٣١	٩٤٢	أعلن الكونت « هوغ »[1] ملك بروفانس عزمه على طرد المسلمين وطلب من امبراطور القسطنطينية دعمه ، فأرسل اليه أسطولاً فزحف هوغ على حصن فراكسينيت بجيش كبير ، وفي الوقت ذاته كانت القطع البحرية ، قاذفة النار

(١) هوغ Hugues ، كان مصاهراً لامبراطور بيزنطة .

	السنة الهجرية	السنة الميلادية	الاحـداث
			اليونانية ، تحرق القطع البحرية للمسلمين ، ونجح هوغ في الاستيلاء على الحصن ، والتجأ العرب المسلمون الى الجبال ، وتزايد الخطر عليهم ، وفي هذه الفترة الحرجة وصلت أخبار فرار « بيرانجه »[1] الذي كان ينازع هوغ في عرش مملكة ايطالية . فعقد هوغ مع العرب صلحاً بشرط أن يساعده العرب في الامساك بمحاور الطرق عبر الألب ومنع كل قوة معادية من قوات خصمه « بيرانجه » في المرور عبر هذه المحاور ، وتم الاتفاق على ذلك[2] .
٩	٣٣٩	٩٥٤	**شعر العرب المسلمون بعد هذا الاتفاق بالاستقرار فانطلقوا الى التعايش مع السكان ، وتزاوجوا معهم ، وسكن بعضهم المدن فكانت لهم احياء في نيس «نيقه» وغرونوبل وعرفت**

(١) بيرانجه Berenger .

(٢) استقبل بعض رجال الكنيسة هذا الاتفاق بالنقمة والسخط وقد عبر عن ذلك المؤرخ ليوفبراند بقوله (لقد قام بعمل لا سبيل للغدر فيه ، ثم قال ما معناه : انه سهل بعمله هذا هلاك الاتقياء وجعل من نفسه حصناً واقياً للطغاة الذين يقال لهم « المور » ، ثم يخاطب هوغ بقوله : (ألا تخجل من نفسك ايها التعس وانت تبسط ظلك على اناس يسفكون الدماء ويعيشون من قطع الطريق ؟. وماذا اقول لك ، لعمري جدير بك ان تنقض عليك صاعقة، او ان تكسر تكسيراً او ان تفنى فناء ابدياً ...) .

الاحداث	السنة الميلادية	السنة الهجرية	
هذه الاحياء السكنية بعد ذلك باسم معسكرات المسلمين[1] . – وانصرف العرب الى الزراعة ، وأصبحوا يسيطرون سيطرة تامة على معبر سان برنارد الكبير «جبل المشتري» المحور الرئيسي للاتصال بين سويسرا وايطاليا ، عبر فاليه [2] ووادي اوسط[3] .			
اكتسح السلاف « المجر » الالزاس ،وسيطروا على جبال جورا فوضع امير بورغونيا وسويسرة ودوفيني « الكونت كونراد » مخططه لتدمير القوتين ، ووجه المجر ضد العرب فخاضوا معهم معارك ضارية ، وفي اللحظة الحاسمة انقض كونراد بجيش كبير على فلول قوات الطرفين ونجح في ابادتها ابادة شبه تامة ، ولجأ من بقي من العرب الى المعاقل والجبال في حين تعرض من بقي من المجر لمذبحة جديدة أعدها « أوتون » ملك المانيا ..	٩٥٢	٣٤١	١٠

....

(١) معسكرات المسلمين ترجمة لاصطلاح Canton des, Sarrazins وقد اخذ الافرنج يطلقون هذا الاسم على جميع المسلمين كما يطلقون عليهم اسم « المور » وكان بالاصل خاصة لأبناء المغرب، ثم عمم على كل العرب المسلمين وهناك عدد غير محدود من القلاع والاماكن التي تحمل اليوم في اوروبا اسماء قلاع العرب Castle Sarrazins .

(٢) فاليه : Valais .

(٣) وادي اوسط Aoste .

	السنة الهجرية	السنة الميلادية	الاحداث
١١	٣٤٥	٩٥٦	**قام الاسقف « ايزاردون » بقيادة قوة كبيرة واخرج العرب المسلمين من غرونويل .**
١٢	٣٤٩	٩٦٠	**قام الاسقف « برنار دو منتون »[1] بقيادة قوات كبيرة ونجح في اخراج العرب المسلمين من مضائق « سان برنارد » .**
١٣	٣٥٠	٩٦١	**مات عبد الرحمن الثالث (الناصر) وخلفه ابنه الحكم الثاني .**
١٤	٣٥٨	٩٦٨	أعلن الامبراطور « اوتون » عن عزمه لطرد العرب المسلمين من البروفانس ..
١٥	٣٦٢	٩٧٢	وقع عدوان من المسلمين على « القس مايول »[2] واستثمر أحد النبلاء في « نوايبه »[3] هذا الحادث ، فحشد قوة كبيرة زحف بها الى

....

(١) برنار دومنتون Dementhone .

(٢) مايول Mayeul كان قساً يتمتع بشعبية واسعة وكان قسيس بلدة كلوني Cluny في بورغونية ، وقد ذهب الى رومة لزيارة كنائسها كما هي عادة القديسين ، ولما وصل مايول كان في انتظاره جمهور كبير من المستقبلين له، وعند وصول القافلة اطراف الوادي باغتهم العرب المسلمون بقوة الف مقاتل ، واعتقلوهم ، واقتادوهم اسرى وطلبوا منهم فدية كبيرة ، ويذكر القسيس مايول -الذي جعلوه بعد ذلك قديساً - عن فترة الاعتقال فيقول:

(كان اذا اشتهى الطعام جاء احدهم وغسل يديه واصلح له طعاماً شهياً ووضعه بين يديه بأدب جم ، وكان مع القسيس نسخة من التوراة ، فجاء احد المسلمين ومد يده اليها دون احترام ، فلامه رفاقه وقالوا له : ان هذا كتاب مقدس ونحن معاشر المسلمين نقدس جميع الكتب السماوية ..)

(٣) نوايبه : Noyers قرية تقع في نواحي سيسترون Sisteron واسم النبيل «بوبون».

	السنة الهجرية	السنة الميلادية	الاحداث
			« سيسترون » وشيد حصناً مقابل حصن المسلمين في «بيترا ـ امبيا»[1] وأفادوا من بعض الظروف فانقضوا على المسلمين وذبحوهم ..
١٦	٣٦٥	٩٧٥	استنفر « غليوم » كونت بروفانس أهالي بروفانس ودوفيني السفلى وتوجه بقوات كبرى لقتال العرب المسلمين ، فنزل هؤلاء من معاقلهم الجبلية ونظموا صفوفهم ووقعت بينهم وبين أهالي بروفانس معركة كبيرة في « تورتور » قريباً من « دراغينفهان » ولقيت قوات المسلمين هزيمة منكرة فالتجأت فلول قواتهم الى حصن معين لكن قوات غليوم طاردتهم وأحاطت بالمعقل فتسلل العرب المسلمون ليلاً ، وهربوا إلى الحراج المجاورة وطاردهم غليوم قتلاً وأسراً واستسلمت أعداد منهم «للرق» وسقط حصن «فراكسينيت» ولم يبق من المسلمين سوى مجموعات قليلة متفرقة اندمجت في مجتمعها ودانت بدينه .
١٧	٣٦٦	٩٧٦	**مات الخليفة ، الحكم الثاني في قرطبة ، واستولى العامريون « بني عامر » على السلطة فيها بقيادة « المنصور » .**
١٨	٣٩٣	١٠٠٢	**توفي المنصور ، وعرف التمزق الداخلي طريقه الى قرطبة ، وبدأ بعد ذلك استقلال الامارات ، وعصر انحطاط الاندلس[2] .**

(١) بيترا ـ امبيا Petra - Empia .

(٢) المراجع : غزوات العرب ـ ارسلان ـ ١٦٠ ـ ١٩٠ .

٧ – حول عمليات المحور البحري :

– يشابه دور احتلال العرب المسلمين لجنوب فرنسا ومنطقة جبال الألب وشمال ايطاليا ذلك الدور الذي مارسته القواعد المتقدمة والمستقلة خلال الحرب العالمية الثانية وبصورة خاصة ما كان منها على مسرح آسيا ، في شمال الهند والصين[1] ، ولقد وجد العرب المسلمون في الاندلس حماية مستقلة وفرتها لهم هذه القاعدة ، ولهذا فقد حظيت باهتمام امير قرطبة ونالت دعمه . وفي الوقت ذاته وفرت هذه القاعدة حماية نسبية للعمليات البحرية في حوض البحر الابيض المتوسط .

– ومما يؤخذ على عمليات هذه القوات انها دمرت كثيراً من الكنائس ، وأبادت عدداً من القسس ، ولإيضاح هذه النقطة يجدر الانطلاق من المعطيات التالية :

١ً – لقد تزعم القسس حركات المقاومة – والحرب هي الحرب – في كل زمان ومكان صراع بين ارادتين ، لا مجال للتهاون فيها ، والاسرع فيها والاكثر تصميماً هو الذي يحرز النصر ويضمن لنفسه البقاء ..

٢ً – لقد كتب تاريخ هذه العمليات وسجلها القسس ذاتهم ، ولهذا كان فيها الكثير من التجني والمبالغة في وصف الوقائع والاضطهادات ، وان هذه الشهادات قد سجلت بعد مضي وقت على مرور احداثها فهي مطعون بها من ناحيتين ، من ناحية صدق وقائعها ، ومن ناحية حقيقة حدوثها .

٣ً – لقد توافق حدوث غزوات العرب مع حدوث هجمات النورمان والسلاف . وعرف عن غزوات السلافيين والنورمان من القسوة والوحشية ما يفوق كثيراً على ما كان يفعله العرب في حروبهم التي تميزت – بالفروسية –

....

(١) كان اول من نظم هذه القواعد ، « فرقة وينغيت » الذي عمل على تدريب العصابات الصهيونية في اسرائيل ومارس دوراً كبيراً في حرب الحبشة واعادة امبراطورها اليها بعد ان أخرجته القوات الايطاليه .

وبالتزامها لقواعد اخلاقية في سلوكها وفي أسلوبها ، وكان أهل فرنسا يعتبرون الغزاة جميعهم من الوثنيين وليس من المستبعد الصاق ما فعله النورمان والسلاف - المجر - بالعرب المسلمين ..

٤ - وبينما يبرز كثير من مؤرخي الغرب ما قام بـه العرب من غزوات همجية نراهم يطبقون بصمت أو ينوهون بشكل عابر الى ما قام به برابرة الشمال، نظراً لنجاح الكنيسة في ادخالهم دين المسيحية واعتمادهم بعد ذلك في الحروب الصليبية ضد الاندلس وضد المسلمين في حروب الشرق الصليبية .. وهذه النقطة تثبت صحة المعطيات السابقة .

٥ - توافق تاريخ عمليات هذا المحور مـع مضي مرحلة من قيام الدولة الأموية في الأندلس . وفي هذه الفترة ، كانت قوات العرب المسلمين تضم اليها أعداداً غير قليلة من غير المسلمين ، بل ومن غير العرب كالصقالبة والمتطوعين من اوروبا ذاتها . وقد سجل بعض المؤرخين أو بعض من عاصر تلك الأحداث وعايشها .. ان بعض هؤلاء لم يكونوا من المسلمين ، ولم يكونوا يتحدثون باللغة العربية ، ومعنى ذلك ، إما قيام النورمان ببعض هذه الغزوات وقـد حدث ذلك فعلاً ، وإما قيام العناصر غير المسلمة بأعمـال مسيئة ، ألصقت بالعرب المسلمين عن عمد أو غير عمد ..

- وفي كل الأحوال ، فان هذه المعطيات والحقائق التاريخية قد أصبحت في سجلات الماضي السحيق وليست هناك ضرورة لاثباتها أو نفيها لولا وجود بعض العناصر التي تحاول بين فترة وأخرى إثارة بعض سلبيات الماضي ان وجـدت والتلويح بها ، فنلجأ نحن الى الدفاع ، وان الأسلوب الصحيح للرد على مثل هؤلاء من كتاب أو مؤرخين هو :

ماذا فعلتم في مرحلة الاستعمار ، والمـد الاستعماري ؟ وخـلال أيام الحروب الصليبية ذاتها منذ بدايتها ؟.

ثم كم هو عدد الكنائس التي دمرها المسلمون، وما هو العدد المقابل للمساجد التي دمرها الصليبيون في الاندلس ، وجزر البحر الأبيض المتوسط ؟

– وللانصاف يجب القول ان عدداً من المؤرخين المحدثين قد انصفوا العرب المسلمين . واعترفوا ان من بعض ما ترك العرب من أثر ، تعليم الغرب روح الفروسية والنبل وهما الصفات التي سادت اوروبا في عصر نهضتها وعاشت اوروبا عليها حتى الآن ..

– ومن بعض ما أدخله العرب أيضاً التطوير في فن الحرب، وكان الاحتكاك الدائم والصراع المستمر مدرسة اقتبس منها الغرب الأسس الصحيحة والمتطورة لفن الحرب ثم عملوا على تطبيقها واستخدامها ضد العرب المسلمين ذاتهم ، في الأندلس ، وفي الشرق وفي كل مكان ..

—★—

قراءات

السمح بن مالك الخولاني

... - ١٠٢هـ = ... - ٧٢١ م

- السمح بن مالك الخولاني أمير من خولان من قضاعة ، استعمله عمر بن عبد العزيز على الأندلس لمّا لمس فيه من الأمانة والاستقامة ، وأوصاه أن يخمس الأرض ما كان عنوة ويكتب اليه بصفتها وأنهارها وبحارها ، وكان من رأيه أن ينقل المسلمين عنها لانقطاعهم وبعدهم عن أهل كلمتهم ..

- سنة ١٠٠ هـ : وصل السمح بن مالك الأندلس ، ونظم أمورها وبدأ ببناء قنطرة قرطبة ثم أعاد تنظيم قواته وتقدم حتى ناربون « اربونه » فجعلها قاعدة متقدمة وزاد مَن تحصينها ، وهناك شارع فيها لا يزال يحمل اسمه [١] .

- سنة ١٠٢ : تابع السمح بعد ذلك غزواته في اكيتانيا وقتل في موقعة « يوم الترويه » ..

- من ذريتـه في الأندلس حفيده « اسحاق بن قاسم بن سمره بن نهشل بن مالك بن السمح بن مالك الخولاني »[٢] .

....

(١) Rue de Zama .

(٢) غزوات العرب ٦٦ ، الاعلام ٣ - ٢٠٣ ، البيان المغرب ٢ - ٢٦ ، نفح الطيب ٣ - ١٤ ، جذوة المقتبس ٢٢٠ .

عنبسة بن سحيم الكلبي

... - ١٠٧ هـ = ... - ٧٢٥ م

- عنبسة بن سحيم الكلبي ، عامل الأندلس أيام هشام بن عبد الملك ، تولى الاندلس بعد مقتل السمح بن مالك ، واستقر في قرطبة وأعاد تنظيم جيشه لمتابعة الغزو ، ثم انطلق الى الشمال فاستولى على سبتمانية .

- سنة ١٠٧ هـ : توغل السمح بقواته في غاليا « فرنسا » وافتتح كاركاسون « قرقشونه » وعبر الرون شرقاً وأوغل في اقليم برغنديه حتى بلغ مدينة ليون واستولى عليها .

وصف اسقف « باجه » فتوحات عنبسة [**بأنها فتوحات حنق ومهارة اكثر من فتوحات بطش وقوة**] .

أصيب خلال معاركه الأخيرة بجراحات توفي على اثرها [١] .

كانت مدة ولايته أربعة أعوام وأربعة أشهر ..

- وفي أيام عنبسة ظهر بجيليقيه « شمال شرق الاندلس » علج خبيث يدعى « بلاي » فعاب على قومه طول الفرار ، وأذكى قرائحهم حتى سما بهم الى طلب الثأر ، ودافع عن أرضه وعندما امتدت سيطرة المسلمين الى منطقة جيليقيه كلها قاد « بلاي » أنصاره الى منطقة حصينة حملت اسم « صخرة بلاي » فحاصرهم المسلمون حتى لم يبق معه سوى ثلاثين رجلا ونحو عشرة نسوة ، وكان هؤلاء يوفرون غذاءهم من عسل النحل في خروق الصخرة ، فاستهان المسلمون بهم وقالوا [ثلاثون علجاً ، ما عسى أن يجيء منهم] فبلغ أمرهم بعد ذلك في القوة والكثرة ان سيطروا على الاندلس واحتلوا قرطبة ، وكان «بلاي» وصحبه نواة عملية « الغزو المضاد » [٢] La ReconQuista .

---

(١) غزوات العرب ٧٣ و ٨٥ ، نفح الطيب ٣ - ١٦ ، ابن الأثير حوادث سنة ١٠٧ ، البيان المغرب ٢ - ٢٧ ، الاعلام ٥ - ٢٦٩ ، تاريخ الاسلام الدكتور حسن ابراهيم حسن ١ - ٣٢٠ ، تاريخ الاسلام الذهبي ٢ - ٢٤٣ ، جمهرة الانساب ١٠٢ .

(٢) بلاي Pelayo أو Pelagius باللاتينية ، فجر الاندلس الدكتور مؤنس ٣١٣ .

عبد الرحمن الغافقي

... – ١١٤ هـ – ... – ٧٣٢ م

هو عبد الرحمن بن عبد الله بن بشر بن الصارم الغافقي ولقبه أبو سعيد .. وعرفه بالعكي نسبة الى بني عك وغافق بطن منهم في اليمن ..

– ذهب الى افريقية وعاد الى دمشق حيث وفد على الخليفة سليمان بن عبد الملك وذهب الى الاندلس فالتقى فيها بموسى بن نصير وابنه عبد العزيز .

– سنة ١٠٢ هـ : كان في القوة التي قادها السمح بن مالك الخولاني وعندما استشهد السمح تولى عبد الرحمن قيادة القوات حتى « ناربون » ، وبقي على ولاية الاندلس فترة قصيرة ريثما التحق الوالي الجديد عنبسة بن سحيم الكلبي .

استمر عبد الرحمن في غزو بلاد الافرنج .

سنة ١١٢ هـ : عينه هشام بن عبد الملك والياً على الأندلس ، فقام بجولة على اقاليم الاندلس « كورها » وحشد الامكانات لغزو بلاد الغال ـ فرنسا .

سنه ١١٤ هـ : عبر بقواته جبال البيرنيه «البرتات» من منطقة « البشكنس ـ الباسك » ، واستولى على بوردو بعد حصاره لها ، وهرب من وجهه ملك اكيتانيا ، الذي طلب دعم شارل مارتل فتقدم هذا بجيشه المكون من الغاليين والجرمانيين .. ووقعت معركة في سهل بواتييه جنوب تور استمرت ثمانية أيام ، ثم قتل عبد الرحمن فوق أرض المعركة ، وسميت المعركة باسم « بلاط الشهداء » .

---

(١) نفح الطيب ٣ ـ ١٥ ، غزوات العرب ٨٧ ـ ١٠٢ ، الكامل لابن الأثير حوادث سنة ١١٤ هـ ، البيان المغرب ٢ ـ ٢٦ ، الاعلام ٤ ـ ٨٥ ، جذوة المقتبس ٢٥٣ .